د. نبيل فاروق

المتخصصون

3

Looloo
www.dvd4arab.com

عملية الفهد

المتخصصون

من بين كل رجال المخابرات المصرية، يحتل وحده مكانة خاصة...

مكانة صنعها أسلوبه الفريد..

وكفاءته المتميّزة..

وعقليته النادرة...

النادرة جداً..

ولأنه شخص فريد بين أقرانه؛ أسندت إليه قيادة فريق جديد...

فريق من شباب المخابرات، الذين تلقوا تدريبات خاصة، واكتسبوا خبرات نادرة، جعلتهم يستحقون، تحت قيادته، ذلك الاسم، الذى أطلقه عليهم الجميع ...

المتخصّصون.

* * *

و.نبيل فاروق

1 – مفاجأة

القاهرة.. أغسطس 1970م..

خيَّم هدوء شديد، على تلك المنطقة شبه الخاوية، في أطراف (القاهرة)، حيث تناثرت مجموعة من الفيلات الصغيرة، ذات الحدائق البسيطة، التي بدت كلها خالية، فيما عدا حديقة واحدة، جلس فيها رجل وقور، وخط الشيب فوديه، على مقعد متحرّك، أمام منضدة صغيرة، حملت رقعة شطرنج..

وعلى الرغم من أنه يجلس وحيداً، أمام رقعة الشطرنج، إلا أنه بدا شديد الاستغراق، وهو ينقل إحدى القطع، ثم يعود إلى استغراقه لفترة طويلة، قبل أن ينقل قطعة أخرى، حتى أنه لو راقبه أحدهم، لأصابه الملل من

استغراقه الشديد، وصبره اللامتناه..

والعجيب أنه كان يمتلك موهبة خاصة مدهشة، في هذا المضمار..

فعندما ينقل قطعة بيضاء، كان يغوص بكيانه كله مع اللاعب الأبيض الوهمي، وينسى تماماً اللاعب الأسود الافتراضي، فيحرّك قطعته، وهو ينشد فوز الأبيض..

ثم عندما ينتقل إلى الأسود، يتقمص حالته تماماً، ويستنفر ذكاءه كله، لهزيمة اللاعب الأبيض، والتفوّق عليه..

ولقد استغرق في هذا طويلاً، في ذلك اليوم، حتى سمع صوت سيارة تقترب، فأرهف سمعه جيداً، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة، وهو يعتدل، ويتابع اقتراب السيارة، حتى توقّفت أمام باب الحديقة، وهبط منها رجل أكبر سناً، ابتسم وهو يعبر باب الحديقة، قائلاً:

- كنت تعلم أنني القادم.. أليس كذلك؟!

هزّ كتفيه، دون أن يجيب، فجلس اللواء أمامه، متسائلاً:

- لن أسألك كيف اكتسبت هذه المهارة، فكلنا نعلم، بحكم عملنا، أن القدرات البشرية قادرة على التطور، إلى أقصى حد.

غمغم:

- هذا صحيح.

صمت اللواء لحظة، وهو يتطلّع إلى رقعة الشطرنج، قبل أن يسأل:

- قل لي أيها العميد: كيف يمكنك أن تدير لعبة الشطرنج من الجانبين؟!

اعتدل العميد، وقال:

- هذه ليست بدعة، الملايين من هواة الشطرنج، في جميع أنحاء العالم، يفعلون هذا؛ فأسلوب اللعب الذاتي

يجعلك أكثر تركيزاً، ويكسبك مهارات أكبر؛ لأنك في كل جانب تبذل قصارى جهدك؛ لهزيمة الجانب الآخر، ثم تنتقل إلى الجانب الآخر، وتعتصر ذهنك لتجاوز ما فعلته في الجانب الأول..

وشرد ببصره، قبل أن يضيف مبتسماً:

- تماماً مثلما نسعى لبلوغه في عالمنا.. أن نتقمّص شخصية العدو، وتحاول أن تفترض أذكى ما يمكن أن يفعله، ثم نحاول أن نهزم أفكاره، ونجد وسيلة لخداعه، في الوقت ذاته.

ضحك اللواء، وهو يقول:

- وأنت خير من يجيد هذه اللعبة.

ابتسم العميد في رصانة، وقال:

- من الخطأ أن أتصوّر هذا، بل من الأفضل أن افترض أن العدو أكثر ذكاءً، حتى لا أرتكب من الأخطاء،

ما يمنح العدو فرصة للتفوق.

لم يستطع اللواء كتمان ذلك الإعجاب، الذي أطلّ من عينيه وصوته، وهو يقول:

- هذا صحيح تماماً.

ثم التقط نفساً عميقاً، واستطرد في جدية:

- الإسرائيليون يماطلون، في إعادة (رافت) إلينا.

أجابه العميد في هدوء:

- لن يعيدوه.

وصمت لحظة، ثم أضاف:

- ليس حياً على الأقل.

سأله اللواء في اهتمام:

- هل تعتقد هذا؟!

أشار بيده، قائلاً:

- هذا أسلوبهم.. (رافت) كسر أنف غطرستهم، عندما اقتحم عالمهم، ونجح في تهريب صيدهم الرئيسي، الذي عاش بينهم طويلاً، في هوية إسرائيلية، وحصد كومة هائلة من معلوماتهم، وعندما كشفوا أمره، لم ينجحوا في اقتناصه، بعد أن انتزعناه منهم، وأعدناه إلى وطنه، و(رافت) هو الذي فعل هذا، ولن يسمحوا له بالنجاة بفعلته أبداً(*).

تنهَّد اللواء، قائلاً:

- لقد عرضنا استبداله بجاسوسهم، الذي ألقينا القبض عليه منذ ثلاثة أشهر، وأبلغونا عبر الصليب الأحمر، أنهم سيدرسون عرضنا.

قال العميد في حزم:

(*) راجع العددين، الأوّل والثاني (معركة العقول) و(لعنة الثعالب)، العمليتين رقمي (1) و(2).

- سيضحون بجاسوسهم؛ لأنه ليس إسرائيلي الجنسية، ولن يسمحوا بعودة (رافت).

قال اللواء في حزم:

- ولن يمكننا تركه في أيديهم، في الوقت نفسه.

أجابه العميد، في حزم أكثر:

- حتماً.

سأله اللواء في اهتمام:

- هل وضعت خطتك؟!

صمت العميد لحظة، قبل أن يقول:

- لقد بدأ تنفيذها بالفعل.

سأله اللواء:

- وبمن استعنت هذه المرة، من القسم الذي ترأسه؟!

قال العميد في بطء:

- المتخصصون؟!

قال اللواء، في اهتمام شديد:

- بمن منهم؟!

شرد العميد ببصره لحظات، ثم أجاب:

- ليس بأيهم.

تراجع اللواء في دهشة، وهتف:

- كيف؟!.. المفترض أن قسمك يحوى متخصصين، في كل المجالات، وكلهم مؤهلون للعمل داخل (إسرائيل).

قال العميد:

- هذه المهمة تختلف، فقد كان من الضروري أن أستعين بشاب صغير السن، بحيث لا يثير شبهات الإسرائيليين، ويمتلك في الوقت ذاته مهارات متعدّدة، تتيح له أن يتلاعب بهم، ثم يفلت من بين أيديهم، في الوقت المناسب، وإذا ما اقتضى الأمر، يمكنه أن يقاتل

كالليث.

انعقد حاجبا اللواء، وهو يقول:

- وهل تعتقد أنك ستجد شاباً صغير السن، يمتلك كل هذا؟!.. معذرة أيها العميد، ولكن هذا أشبه بالأفلام الأمريكية، من الدرجة الثانية.

ابتسم العميد، قائلاً:

- أمر لا يمكن تصديقه.. أليس كذلك؟!

أشار اللواء بيده، وهو يقول:

- بل أمر يستحيل تصديقه!

أدهشه أن تراجع العميد في مقعده المتحرك، وهو يقول في ارتياح غامر:

- عظيم.

مال اللواء نحوه، قائلاً في حذر:

- ماذا يعنيه هذا؟!

اعتدل العميد، مجيبا، في لهجة أقرب إلى الزهو:

- لقد وجدته.

سأله في دهشة:

- وجدت من؟!

التمعت عينا العميد في شدة، وهو يجيب في ارتياح:

- الفهد.

وبدا جوابه غامضاً..

إلى أقصى حد..

* * *

شدّ رجل المخابرات الإسرائيلي (عزرا) قامته في اعتداد، وهو يقف أمام مدير (الموساد)، الذي استقبله بصرامة غير مبرّرة، وهو يقول:

- (دافيد شولومون) وصل (القاهرة).

قال (عذرا) في هدوء:

- أمر طبيعي.

لم يرق جوابه هذا المدير (الموساد)، الذي قال في صرامة:

- (حونين) تمت إحالته إلى التقاعد؛ لفشله في هذه العملية، ورجل العمليات الخاصة، الذي أرسله المصريون، ما زال سجيناً لدينا هنا، في قبو المبنى، ولم يعد باستطاعتنا استخلاص المزيد من المعلومات منه؛ لأنه - بكل بساطة - لا يعرف إلا ما يخص مهمته فحسب.

قال (عزرا) بنفس الهدوء:

- هذه قاعدة العمل الرئيسية.. المعرفة قدر الحاجة.

مطّ مدير (الموساد) شفتيه، وقال متابعاً:

- المصريون عرضوا استبداله بالجاسوس، الذي

ألقوا القبض عليه مؤخراً، ونحن طلبنا استبداله بالطيارين الأسيرين لديهم، ولكنهم رفضوا مطلبنا هذا، وأصروا على عرضهم.

انعقد حاجبا (عزرا)، وهو يقول في تفكير:

- ربما يعنى هذا أنه لا يساوى الكثير لديهم.

تراجع مدير (الموساد) في مقعده، وهو يقول:

- أو ربما هذا ما يحاولون إقناعنا به.

درس (عزرا) الاحتمال في سرعة، وقال في بطء:

- هذا محتمل أيضا.

مال نحوه مدير (الموساد)، وسأله في اهتمام قلق:

- لو أنك تولّيت المهمة، بدلاً من (حونين)، فكيف يمكنك التعامل مع هذا الأمر؟!

بدا له السؤال اختيارياً؛ لتحديد قدرته على إنجاز

المهمة، فقال في بطء، وهو يدرس كل حرف من حروف كلماته:

- أحاول دفع المصريين إلى توضيح موقفهم الفعلي.

سأله في اهتمام أكبر:

- وكيف؟!

شدَّ (عزرا) قامته أكثر، وهو يجيب في حزم:

- سنسرّب خبراً، عبر أحد جواسيسنا، إلى مجموعة الاتصال الفلسطينية، التي ندرك أنها تتصل بـ(القاهرة)، وتتلقى منها الأوامر والتعليمات والإرشادات؛ للتنسيق الخاص بفترة فوزنا بصحراء (سيناء)، وسنقول فيه أننا قد قرّرنا إعدام رجل العمليات الخاصة المصري، في بداية الشهر القادم، أي بعد ثلاثة أسابيع فقط من الآن، وهى مهلة كافية، ليتخذ المصريون قرارهم، ويحسموا أمرهم.

ابتسم مدير (الموساد) في إعجاب، وهو يقول:

- فلو وافقوا على استبداله بالصيّادين الأسيرين، فهذا يعنى أنه يساوى عندهم الكثير، وأن لديه ما يفوق ما أخبرنا به، أما إذا واصلوا إصرارهم على موقفهم..

أكمل (عزرا)، وهو يفرقع سبّابته وإبهامه:

- فلن يعنيهم أن نعدمه فعليا.

صمت مدير (الموساد) لحظات، وهو يتراجع في مقعده، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه، مفكراً، في عمق، قبل أن يسأله:

- وماذا تفضّل في هذه الحالة؟!.. أن نستبدله بجاسوسنا، أم..

أجابه (عزرا) في حزم وحشي، قبل حتى أن يكمل سؤاله:

- إعدامه.

أومأ مدير (الموساد) برأسه، عند هذه النقطة، وقال:

- هذه مسئوليتك، منذ هذه اللحظة.

التمعت عينا (عزرا)، وهو يقول في امتنان حازم:

- لن أخذلك أبداً يا سيّدي.

فقد كانت هذه بالنسبة إليه، فرصة نادرة..

فرصة لإثبات تفوقه..

وللترقي..

والفوز..

الفوز على المصريين..

ويا له من زهو!..

* * *

انهمك الملحق العسكري الإسرائيلي، في سفارة (إسرائيل) في (روما)، في مراجعة بعض التقارير السرية الهامة، التي يستعد لإرسالها إلى (تل أبيب)، عندما دلف

مدير مكتبه إلى المكان، وقال في ارتباك:

- معذرة يا سيدي.. أعلم أنك طلبت عدم إزعاجك، ولكننا نواجه موقفاً مربكاً، يحتاج إلى قرار منك شخصياً.

انعقد حاجباه في دهشة، وهو يرفع عينيه عن أوراقه، قائلاً:

- أي موقف هذا؟!

أشار مدير المكتب بيده، وهو يقول في اضطراب:

- لدينا شاب مصري هنا.

ردَّد في دهشة حقيقية:

- مصري؟!..هل أتى بطريق الخطأ؟!

هزَّ المدير رأسه نفياً، وقال:

- كلا.. لقد وصل بإرادته، وطلب مقابلة أحد المسئولين هنا.

انعقد حاجبا الملحق العسكري أكثر، وتساءل في حيرة:

- بإرادته، ويطلب مقابلة أحد المسئولين؟!.. هذا يثير للتساؤل بالفعل!

استغرق في التفكير بضع لحظات، قبل أن يتساءل:

- هل أعلن عن هويته؟!

هزَّ الرجل رأسه نفياً مرة أخرى، وقال:

- كل ما قاله هو أنه مصري، وأنه سيدلى بكل شيء لأحد المسئولين فقط.

استغرق الملحق العسكري في التفكير العميق، بضع لحظات أخرى، ثم لم يلبث أن سحب التقارير التي أمامه، ووضعها في أحد أدراج مكتبه، وأغلقه بمفتاحه في إحكام، ثم اعتدل، قائلاً:

- حسناً.. سأستقبله.

بدا الارتياح على وجه مدير مكتبه، وهو يقول:

- هذا أفضل.

ثم همَّ بالخروج لإحضار الشاب، ولكنه توقف عند الباب، والتفت قائلاً في تردُّد:

- إنني لم أخبر سيادة السفير بعد.

اقتبس الملحق العسكري عبارته، قائلاً:

- هذا أفضل.

أومأ مدير المكتب برأسه في ارتياح، وغادر الحجرة، فقام الملحق العسكري بتسوية هندامه، وحاول أن يجعل شكله أكثر هيبة ورصانة، حتى دق مدير مكتبه بابه، وقال في احترام:

- المصري يا سيدي.

قال الملحق العسكري في رصانة:

- دعه يدخل.

دلف إلى مكتبه شاب صغير السن، له شارب رفيع، أشبه بشوارب أبطال سينما الخمسينات، وعلى رأسه قبعة فرنسية الطراز، وعلى عينيه منظار طبي، جعله أشبه بطالب جامعي بسيط، فاعتدل الملحق العسكري، قال:

- تفضل بالجلوس.. أنا الملحق العسكري.

غمغم الشاب في ارتباك:

- تشرَّفنا.

قال الملحق العسكري، محاولاً كتمان فضوله الشديد، الذي نجح في خداعه، وأطلّ من كلماته:

- أخبروني أنك طلبت أحد المسئولين.

أجاب الشاب في ارتباك:

- هذا صحيح.. ولكن لدى اعتراف أوَّلاً.

مال الملحق العسكري نحوه، متسائلاً في حذر:

- اعتراف بماذا؟!

همس الشاب، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد:

- هذه ليست هويتي الحقيقية.

تطلّع إليه الملحق العسكري في اهتمام، وهو يغمغم:

- حقاً؟!

اعتدل الشاب، وقال:

- والدي كان يقول دوماً: إن كل سفارات (إسرائيل)، في كل دول العالم مراقبة، فخشيت أن يرصدني أحد.

استوقفت العبارة الملحق العسكري، فسأله في اهتمام شديد:

- وماذا يعمل والدك بالضبط؟!

بدا الشاب أكثر ارتباكاً، وهو يقول:

- إنه ضابط.

سأله الملحق العسكري في دهشة شديدة:

- ضابط جيش؟!

هزّ الشاب رأسه نفياً، وأجاب:

- بل ضابط مخابرات.

وانتفض جسد الملحق العسكري في عنف..

فالمفاجأة كانت أقوى مما تصوّر..

ألف مرة.

* * *

2 - رقعة الحظر

تنحنح مندوب الاتصال الشاب، الذي أرسلته المخابرات إلى العميد، في توتر واحترام، وهو يقول:

- هذه الصور وصلتنا من (روما) يا سيادة العميد، ولقد طلب سيادة اللواء أن تراها فوراً.

التقط العميد المظروف من يده، وأشار إلى المقعد المقابل له، قائلاً:

- اجلس وانظر ما يمكنك أن تفعله، بالقطع السوداء.

جلس الشاب في بطء، وتطلّع إلى رقعة الشطرنج في حيرة..

كان يجيد الشطرنج، كمعظم رجال المخابرات، إلا أن

الموقف الذي أمامه، كان يشير إلى فوز الأبيض حتماً..

فالملك الأسود محاصر، بين حصان أبيض، وفيل يتربص به، من ركن الرقعة..

وبينما استغرق الشاب في البحث عن مخرج، كان العميد يطالع صور ذلك الشاب، وهو يدخل إلى السفارة الإسرائيلية، قبل أن يغمغم في ارتياح:

- عظيم.

رفع الشاب عينيه إليه، مع غمغمته هذه، فسأله العميد في هدوء، وهو يعيد الصور إلى المظروف:

- هل توصّلت إلى حل ما؟!

هزّ الشاب رأسه، وقال:

- لا فائدة.. الأبيض سيربح لا محال.

ابتسم العميد، وقال:

- هل تعتقد هذا؟!

هزّ الشاب كتفيه في حذر، وقال:

- هذا ما أراه.

أشار العميد بيده، قائلاً:

- لأنك لم تر سوى منطقة القتال فحسب.. المفترض أن تدرس الرقعة كلها.

ثم نقل حصانه، لتهديد الملك الأبيض، قائلاً:

- كش ملك.

تطلّع الشاب إلى الرقعة في دهشة، وقال في انبهار:

- هذا يجبرني على تحريك الملك الأبيض، إلى خانة تعوق مسار الفيل.

ابتسم العميد، قائلاً:

- ويمنح الملك الأسود فرصة للفرار.

غمغم الشاب مبهوراً:

- بالضبط.. الواقع يا سيادة العميد، أنني لم أتوقع هذا قط.

أشار العميد بيده، قائلاً:

- خطأ.. المفترض أن تلاحظ كل شيء، وتتوقع كل شيء.. هذا هو الفيصل بين الفوز والهزيمة، في عالم المخابرات.. التفاصيل الصغيرة.. أدق التفاصيل، يمكن أن تحوّل الهزيمة إلى نصر والعكس.

تمتم الشاب محرجاً:

- لقد درسنا هذا، ولكن...

لم يكمل عبارته، فأكملها العميد، قائلاً:

- ولكنك لم تمارسه عملياً بعد.. أليس كذلك؟!

أومأ الشاب برأسه في حرج، فمط العميد شفتيه،

وقال:

- عندما تأتيني في المرة القادمة، ستبدأ في ممارستها.

لم يفهم الشاب العبارة، فتساءل في حذر:

- وكيف هذا؟!

ارتسمت على شفتي العميد ابتسامة غامضة، وهو يقول:

- ستعرف في حينه.

ظلّت نظرة الحيرة تطلّ من عيني الشاب، حتى رأى رجلاً يدخل إلى الحديقة، فقال العميد في هدوء:

- جلسة العلاج الطبيعي.. انتظر هنا، واحتفظ بالمظروف معك حتى أعود.

وصل إليهما الرجل، وسأل العميد في اهتمام:

- هل تبدأ؟!

أجابه العميد بابتسامة هادئة:

- فوراً.

دفع الرجل مقعد العميد إلى داخل المنزل، تاركين مندوب الاتصال الشاب خلفهما، وهو ما زال يبحث عن الجواب..

كيف يمكن أن يمارس القدرة على رصد التفاصيل الصغيرة هنا؟!..

كيف؟!..

* * *

عقد (عزرا) كفيه خلف ظهره، وهو يسير حول (رأفت)، الذي بدا شديد التهالك والإرهاق، بعد كل ما عاناه من تعذيب وحشي، وقد تورّمت أطرافه، وعينيه، وشفتيه، وتجمّدت الدماء على أماكن شتى، من وجهه وجسده،

الذي ظهر معظمه، من خلال قميصه الممزّق..

وأمامه مباشرة، توقّف (عزرا)، وسأله في صرامة، بلغة عربية، ذات لكنة شامية:

- ما أهميتك لدى المصريين بالضبط؟!

حاول (رأفت) أن يجيب، إلا أن شفتيه المتورمتين منعتاه من هذا، فتمتم في صعوبة شديدة:

- لست أدرى؟!

رمقه (عزرا) بنظرة نارية، وقال بنفس الهدوء:

- ربما.. ولكن شيئاً ما في أعماقي يخبرني أنك كاذب.. وأنك تدرك جيداً مدى أهميتك لديك، ولكنك تخفى هذا؛ لتصوّرك أنه كلما زادت أهميتك، ستزداد رغبتنا في التخلّص منك.

لوّح (رأفت) بيده في صعوبة، وتحرّكت شفتاه في تهالك، يوحى بعدم قدرته على النطق، فانعقد حاجبا

(عزرا) في ضيق، وسأل الحارس:

- لماذا فعلتم به هذا؟!

تنحنح الحارس، مجيباً:

- إنها أوامر أدون (حونين)، و..

صاح فيه (عزرا)، مقاطعاً في غضب:

- خطأ.

ثم عاد يدور حول (رأفت)، وهو يكمل:

- بم يمكن أن يفيدكم شاب، أنهكه التعذيب، وسلب قدرته على الكلام؟!

لم يجد الحارس جواباً، فأشار إليه (عزرا)، قائلاً:

- استدع الطبيب على الفور، وانقله إلى زنزانة نظيفة، وليستحم ويبدل ثيابه.. لابد وأن يكون قادراً على الحديث، عندما آتى إلى هنا، مساء الغد.

تمتم الحارس:

- أوامرك أدون (عزرا).

كان (عزرا) يرغب في تأنيبه أكثر، لولا أن أتاه أحد العاملين في المكان، قائلاً في لهجة عسكرية:

- المدير يطلبك أدون (عزرا).

أجابه في سرعة:

- أنا في طريقي إليه.

ثم التفت إلى الحارس، قائلاً، في صرامة شديدة:

- سأعود.

* * *

"إنها مفاجأة حقيقية.."

نطق مدير (الموساد) العبارة، في اهتمام شديد، فعقد (عزرا)، الذي يقف أمامه حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- والده رجل مخابرات مصري، ولجأ هو إلى سفارتنا في (روما)!!.. لماذا؟!

أجابه المدير:

- يقول: إن والده يدفعه دفعا للالتحاق بالكلية الحربية، وهو يبغض الأمور العسكرية بشدة، ويريد أن يلتحق بكلية الهندسة، ولكن والده يرفض هذا بشدة، وهو لهذا يبغض والده، ويبغض النظام العسكري الحاكم في (مصر)، مما دفعه إلى الفرار، واللجوء إلينا.

قال (عزرا) في شك:

- قصة تثير ظنا من الشبهات!

أشار المدير بيده، قائلاً:

- خبرتي علمتني أن هذا النوع من القصص هو الأقرب إلى الواقعية؛ فالقصص الملفقة تبدو أكثر تناسقا وترتيبا.

غمغم (عزرا):

- ربما.

ثم ارتفع صوته، وهو يضيف في حزم:

- وربما لا.

غرق في التفكير لحظات، ثم قال في اهتمام:

- ما زالت هناك عدة ثغرات.

سأله المدير:

- مثل؟!

أشار بسبَّابته، مجيبا:

- لماذا لجأ إلى سفارتنا مثلاً، ولم يلجأ إلى سفارة أية دولة أخرى؟!

أجابه المدير:

- لأنه ليست لديه أية أسباب منطقية، لطلب اللجوء

السياسي، أو حتى الإنساني(*)، إلى أية دولة، مما لا يجعل أمامه من سبيل للفرار، سوى إلى (إسرائيل).

تساءل، في شك أكثر:

- وكيف غادر (مصر)، في ظل نظام حكم، يقيِّد سفر مواطنيه؟!

هزَّ المدير رأسه، قائلاً:

- كان المفترض أن يزور والده في (روما)، ولكنه لم يذهب إليه، حتى هذه اللحظة.

انعقد حاجبا (عزرا)، وهو عاجز عن الاقتناع بالأمر، وتساءل:

(*) اللجوء السياسي: حق تبيحه معظم الدول، لمن يتعرَّض إلى قهر أو اضطهاد سياسي وفكري، من قبل حكومته، أما اللجوء الإنساني، فهو حق تمنحه عدة دول، لكل من يواجه نوعاً من أنواع الاضطهاد الاجتماعي في وطنه، بسبب العقيدة أو الجنس، أو الميول الفكرية المخالفة لمجتمعه.

- هل تحرّوا كل ما قاله؟!

أجابه بسرعة، وكأنه كان ينتظر السؤال:

- إنهم يجرون تحرياتهم الآن، عبر عدد من جواسيسنا، في أماكن عديدة، وفى السفارة المصرية نفسها في (روما)، ولقد أرسلنا صورة الشاب إلى عدد من عيوننا، لتأكيد كل كلمة قالها.

سأله في اهتمام:

- وما أهميته، حتى نبذل في سبيله كل هذا الجهد والمال؟!

تراجع مدير (الموساد) في مقعده مرة أخرى، وقال:

- أوّلاً، والده ضابط مخابرات مصري، ووجود ابنه في قبضتنا، يمنحنا نقطة تفوق، ربما تساعدنا على تجنيد الوالد فيما بعد، ثم أنه عرض منحنا سراً يرى أنه هام وخطير، مقابل اللجوء إلى (إسرائيل).

تساءل (عزرا)، في اهتمام بالغ:

- أي سر هذا؟!

أجابه المدير:

- لم يفحص به بالطبع، يصر على ألا يخبرنا به، إلا هنا.. في قلب (إسرائيل).

انعقد حاجبا (عزرا)، وهو يدير الأمر في رأسه جيداً..

هناك بالفعل ألف علامة استفهام، في هذه الرواية..

نقاط عديدة، تثير الشك والقلق..

أسئلة بلا حدود، تحتاج إلى إجابات..

ولكن كما يقول المدير: القصص الواقعية فقط، ما تبدو مليئة بالثغرات..

والشاب، كما ورد في تقرير سفارة (روما)، أصغر

من أن يكون أحد رجال المخابرات.. أو حتى عميلاً..

وهذا يؤيّد موقفه..

ولكن نقاط الحيرة ما زالت عديدة..

ربما يكون فاراً بالفعل..

الكراهية هي إحدى الدوافع الشهيرة، للخيانة والتجنيد، وتغيير الولاء..

صحيح أنها تأتى في المرتبة الرابعة، بعد الدوافع الثلاثة الأولى، الجنس، والمال، والعقيدة، ولكنها ما زالت دافعاً قوياً..

ربما لجأ بالفعل إلى (إسرائيل)، كملاذ أخير..

أو ربما كإجراء يائس..

وربما لديه بالفعل معلومة ذات قيمة..

ربما..

التفت عند هذه اللحظة إلى مديره، وتساءل:

- وماذا عن اختبار كشف الكذب؟!

أجابه المدير، وهو يلقى نظرة على ساعته:

- إنهم يجرونه له الآن.

في نفس اللحظة التي نطقها فيها، كان الشاب يجلس على مقعد معدني، في قبو السفارة الإسرائيلية في (روما)، شديد التوتر والاضطراب، وهم يوصلون جسده بأسلاك جهاز صغير، المفترض أن يقيس التغيرات، في نبضه، وتنفسه، وإفرازاته العرقية، ويدرس معدلاتها، حتى يمكنه رصد ما يحدث له، مع أي سؤال يلقونه عليه..

كان جهازاً لكشف الكذب، يديره ثلاثة من الأخصائيين، الذين راحوا يسجلون حالته الحالية، وهو يقول في عصبية:

- ما هذا بالضبط؟!

أجابه الملحق العسكري، وهو يتفرّس ملامحه جيداً:

- اطمئن.. إنه جهاز فحص عادى، يرصد معدلاتك الحيوية.

قال بنفس العصبية:

- ولكنه يثير توتري بشدة.

أجابه أحد الخبراء في هدوء:

- لا بأس.. هناك فارق، بين التوتر والكذب.

ردَّد في ارتياع:

- الكذب؟!.. ولكنني لم أكذب عليكم قط.

قال الملحق العسكري في صرامة:

- لا داع للخوف إذن.

غمغم الشاب:

- لست خائفاً، ولكنني متوتر، فلم أتخيَّل نفسي في

هذا الموقف أبداً.

كان يبدو شديد الاضطراب والتوتر ظاهرياً، ولكن واقعه كان مختلفاً تماماً..

كان هادئاً..

متماسكاً..

واثقاً..

قوياً..

لقد علَّمه والده أن جهاز كشف الكذب، مهما بلغت دقته، هو مجرَّد آلة..

آلة ترصد متغيرات الجسد البشرى..

آلة صماء، لا تفكِّر، أو تحلِّل..

فقط تنقل ما ترصده..

ولأنها مجرَّد آلة، فهي حتماً أقل ذكاءً من البشر..

وككل آلة، يمكن خداعها..

"جهاز كشف الكذب يعتمد على ثقتك في قوته، وفى أنه قادر على كشف كذبك، أما لو تماسكت، ونجحت في السيطرة على أعصابك، ووثقت في أن قدراتك تفوق قدراته، فلن يمكنه أن يتفوّق عليك أبداً.."..

تردّدت في ذهنه كلمات والده، فاستنفرت إرادته الفولاذية، للسيطرة على أعصابه، والخبير يسأله:

- ما اسمك؟!

حافظ على تظاهره بالاضطراب والتوتر، وهو يجيب:

- اسمي (أكرم).. (أكرم صلاح الدين).

وراحت مؤشرات الجهاز ترسم منحنياتها..

بمنتهى الدقة..

* * *

"عميلنا يقول: إنهم يختبرونه بجهاز كشف الكذب الآن.."..

نطقها اللواء في قلق واضح، ولكن العميد ابتسم، وقال في هدوء:

- هذا أمر طبيعي.

مال اللواء نحوه، قائلاً:

- إنه مجرّد شاب صغير.

أجابه العميد في حزم:

- إنه فهد.

تراجع اللواء في بطء، وقال في توتر:

- أخشى أن تكون ثقتك فيه أكبر مما ينبغي.

ابتسم العميد، قائلاً:

- ثق أنها في محلها تماماً.

هزَّ اللواء رأسه، وكأنه يحاول استيعاب الأمر، وقال:

- ولكن ما الخطوة التالية، بعد اختباره.

قال العميد في هدوء:

- سيكملون تحرياتهم بشأنه.

أشار اللواء بيده، قائلاً:

- اطمئن تماماً، من هذه الناحية.. لقد سيطرنا على الموقف كله، وكل ما سيصلهم من معلومات، سيتفق تماماً مع روايته.. لقد تركنا بعض جواسيسهم، دون إلقاء القبض عليهم، حتى يمكننا استغلالهم على هذا النحو، والعملاء المزدوجون يقومون بدورهم جيداً.

قال العميد في ارتياح:

- عظيم.. هذا يعنى أنهم سينقلونه في النهاية إلى (إسرائيل).

سأله اللواء في قلق:

- وماذا سيحدث هناك؟!

ابتسم، مجيباً:

- ستبدأ العملية.

كان قوله غير واضح..

ولكنه مثير..

للغاية..

* * *

"والده ضابط مخابرات بالفعل.."

نطقها (عزرا) في اهتمام، وهو يطالع التقرير السري العاجل، الذي وصل من سفارة (روما)، وأكمل، وهو يقف أمام مديره:

- اسمه (محمد صلاح الدين)، وهو ملحق عسكري للسفارة المصرية هناك، ويقيم في منطقة (مصر) الجديدة

في (القاهرة) وتحريات رجالنا هناك أكّدت كل كلمة قالها ابنه.

قال المدير في اهتمام:

- ولقد اجتاز اختبار كشف الكذب بنجاح بالفعل.

شرد (عزرا) ببصره وفكره، وهو يقول:

- هذا يعنى أن قصته حقيقية.

قال المدير:

- بالتأكيد، فوالده يقلب الدنيا؛ بحثاً عنه في (روما)، بعد أن تأكّد من وصوله إليها، وانقطاع أثره بعد هذا.

تنهّد (عزرا)، وقال:

- ما زال هناك احتمال قائم، بأن تكون لعبة من المصريين.

سأله المدير:

- وكم تبلغ نسبة هذا الاحتمال.

صمت (عزرا) طويلاً، قبل أن يقول في توتر:

- واحد في المائة.

ابتسم المدير، وهو يقول:

- أحضره إلى هنا إذن.

انعقد حاجبا (عزرا)، وهو يسأله:

- إلى هنا في (إسرائيل)، أم..

قاطعه في حزم:

- هنا.. في (الموساد).

بدا توتر غير مقتنع، على وجه (عزرا)، فتابع المدير في صرامة:

- لديه أسرار يود إبلاغنا بها، وهو لن يفعل هذا على قارعة الطريق.

قال (عزرا):

- يمكنه أن يفعل، في أحد البيوت الآمنة.

هزّ المدير رأسه نفيا، وقال في حزم:

- لابد من اختباره مرة ثانية هنا.

قال (عزرا) في عصبية، لم يستطع كتمانها:

- رجل العمليات الخاصة المصري، تم استجوابه بجهاز كشف الكذب، وما زلنا لا نثق في أنه قد أدلى بكل ما لديه.

انعقد حاجبا المدير، وهو يقول:

- بالمناسبة.. هل أعدت استجوابه؟!

أجابه في صرامة، امتزجت بعصبيته:

- سأفعل.

وصمت لحظة، ثم أضاف في شراسة:

- الآن.

نطقها، وذهنه منشغل بقضية المصري..

تماما.

* * *

3 - المصري..

عقد الملحق العسكري الإسرائيلي كفيه خلف ظهره، وهو يدور حول الشاب، الذي جلس على مقعد، في منتصف مكتبه، ويبدو مضطرباً متوتراً كعادته، وقد لاذ بالصمت التام، حتى قال الملحق العسكري في صرامة:

- لقد اجتزت اختبار جهاز كشف الكذب.

قال الشاب:

- لم أكذب.

هزّ الملحق العسكري كتفيه، وقال:

- الجهاز أثبت هذا، وأثبت أيضاً أنك، فيما ذكرته عن ذلك السر، الذي تقايض به.

قال الشاب في توتر:

- إنها معلومة شديدة الخطورة.

توقف الملحق العسكري، وقال:

- ما نوعيتها؟!

صمت الشاب لحظات، قبل أن يقول:

- هامة.

انعقد حاجبا الملحق العسكري في غضب، وهو يقول متوعداً:

- إن لم تخبرني بها، فـ..

قاطعه الشاب في عصبية:

- فستضطرون إلى نقلى إلى (إسرائيل).

قال الملحق العسكري في حنق:

- لا يمكنك أن تضمن هذا.

أجابه الشاب في حدة:

- ولا يمكنني أن أضمن العكس.

صمت الملحق العسكري غاضباً، فقال الشاب، في لهجة حزينة متوترة:

- صدقني.. (إسرائيل) هي ملاذي الوحيد.. لو ذهبت إلى أية دولة أخرى، فسيتمكن أبى من إعادتي، أما في (إسرائيل).

لم يحاول إكمال عبارته، ولكنها بدت مفهومة إلى حد كبير، فصمت الملحق العسكري لحظات أخرى مفكراً، قبل أن يقول:

- وماذا لو ثبت أنها ليست معلومة هامة كما تتصوّر؟!

أجابه الشاب في انكسار:

- عندئذ يمكنهم إعادتي إلى هنا.

قال الملحق العسكري في سرعة:

- لن يفعلوا.

وصمت لحظة، ثم أضاف في قسوة:

- سيقتلونك.

وعلى الرغم من الهدوء والثقة الشديدين، في أعماق الشاب، إلا أنه تظاهر بالاضطراب الشديد، وهو يقول:

- اتفقنا.

رمقه الملحق العسكري بنظرة صارمة، قبل أن يقول:

- إنهم يطلبونك هناك.

التفت إليه الشاب، فأكمل في صرامة أكثر:

- في (تل أبيب).

وعلى الرغم من الانفعال الغامر، الذي سرى في

جسد الشاب، ظلت ملامحه متوترة مضطربة.. للغاية..

* * *

على الرغم من العناية الفائقة، التي حظى بها (رأفت)، طوال يوم كامل، فقد بدا منهكاً متهالكاً، وهو يجلس أمام (عزرا)، الذي دار حوله كعادته، قبل أن يسأله في حزم:

- ماذا تخفى؟!

أجابه (رأفت) في صعوبة:

- لقد أخبرتكم كل ما أعرفه.

قال (عزرا) في شراسة:

- كاذب.

رفع (رأفت) عينيه المتورمتين إليه، وحاول أن يستشف ما يدور في ذهنه، قبل أن يقول في خفوت:

- لم أكذب.

توقّف (عزرا)، في مواجهته مباشرة، وقال:

- القصة التي رويتها، كانت جزءاً من لعبة المصريين.

غمغم (رأفت):

- ألم ينفذوا خدعة جواز السفر؟!

انعقد حاجبا (عزرا) في شراسة، وهو يقول:

- لا تختبر صبري.

ثم أمسك شعره في قسوة، مستطرداً:

- ولا تهن ذكائي.

لم ينبس (رأفت) ببنت شفة، فمال (عزرا) نحوه، وتضاعفت شراسته، وهو يواصل:

- لقد رويت لنا قصة، جذبت انتباه الجميع، ووجهتهم

إلى هدف زائف، في حين فرّ الصيد الأصلي أمام عيونهم.

تمتم (رأفت):

- هذا ما أخبروني به.

كان جوابه منطقياً للغاية، في مضمار الجاسوسية والمخابرات، فمن الخطأ أن يعرف كل لاعب قواعد وتفاصيل اللعبة كلها..

كل لا يعرف إلا حدود دوره فقط..

أما ضابط الحالة، الذي يدير العملية، فهو الوحيد، الذي يعرف كل التفاصيل..

تماما وكأننا على رقعة شطرنج..

كل قطعة تتحرّك في منظمتها فحسب..

اللاعب الأساسي فقط يحرّك كل القطع، ويضعها في مربعاتها..

ويدير اللعبة وفقاً لمنظومة عامة..

ومحدودة..

وربما لا يعرف (رأفت) بالفعل، إلا ما أخبروه به..

ولن يمكنه أن يعرف المزيد..

ولكن شيئاً ما، في أعماق (عزرا)، كان ينبئه بأنه هناك المزيد..

ومزيد المزيد..

ربما كان شعوراً يفتقر إلى المنطق، وبالذات في عالم المخابرات..

ولكنها غريزة رجل المخابرات..

تلك الغريزة، التي تولد في أعماقه، وتنمو كلما توغّل في عمله، حتى يصير محترفاً في مضماره..

غريزة لا يمكنك أن تصفها..

ولكنها دائماً هناك..

كامنة..

يقظة..

ومتحفزة..

ثم أن (عزرا) كان من اليهود الشرقيين..

أسرته كانت تحيا في (اليمن)، قبل أن تنتقل إلى (إسرائيل)، عام 1950م..

وعندما استقرّت في (القدس)، كانت تحيا كأسرة شرقية..

(سفرديم)، كما يطلقون على اليهود الشرقيين..

وفى (إسرائيل)، التي تتباهى بديمقراطيتها، يحيا الكل في ظل عنصرية رهيبة..

هناك تصنيف يضع اليهود، في مرتبة أعلى ممن

يعتنقون الديانات الأخرى..

وحتى اليهود، يتم تصنيفهم، وفقاً لمنشاهم..

هناك يهود غربيين (إشكيناز)..

ويهود شرقيين (سفرديم)..

ويهود من (أوروبا) الشرقية (شازيد)..

ويهود أفارقة (فلاشا)..

وفئات أخرى أقل..

وهم مرتبون، على النسق نفسه، الذي وردت أسماؤهم به..

ومن العسير أن تجد في المناصب العليا الرسمية، سوى (الإشكيناز)، وقليل من (السفرديم)، وندرة من (الشازيد).

ولأن (عزرا) من (السفرديم) ففرصه في الترقي

نادرة..

إلا إذا..

"إنك تخفى أمراً ما، وسأنتزعه منك، حتى لو اضطررت لقطع رأسك بسكين صدئ.."

ولم يجب (رافت)، وهو يتطلّع إليه في صمت..

نعم هناك المزيد..

المزيد، الذي أوصاه العميد بألا يلفظ به، حتى لو جزوا عنقه..

ولن يلفظ به أبداً..

ليس لأنه يدرك أهميته.. بل لأنه لا يدرك هذا..

لا يدرك حتى ما يمكن أن يعنيه..

وفى بطء، رفع عينيه إلى (عزرا)، قائلاً:

- لست أخفى شيئاً.

ولسبب ما، بدت العبارة لـ(عزرا)، وكأنها تصرخ:

- نعم.. أخفى شيئاً شديداً الخطورة.

لذا، فقد انعقد حاجباه في شدة، وهو يقول في وحشية شرسة:

- هكذا؟!

ثم أخرج من جيبه محقناً، وقال في صرامة:

- عندما أمسكوا بك في البداية، لم يحاولوا حقنك بمصل الحقيقة؛ لأن معظم أجهزة المخابرات تستخدم أسلوب الاعتياد المزمن مع رجالها، فتحقنهم بجرعات قليلة منه، على نحو منتظم، حتى يعتاده الجسم، فلا يعود يتأثّر به فعلياً، كل من يُحقن به، من رجال المخابرات، يتظاهر بالسقوط في حالة التوهان، ويدلى بقصة احتياطية زائفة، والكل يتصوّر أن كل ما ينطق به حقيقة(*).

(*) حقيقة.

واقترب من (رأفت)، المقيَّد إلى المقعد المعدني، وكشف ذراعه، مستطرداً:

- ولكنك قضيت هنا فترة كافية، ليتلاشى كل أثر للجرعات الاحتياطية من دمك، واليوم، عندما فحصك الطبيب لمداواتك، سحب عينة من دمك، أثبتت خلوه التام من (بنتوثال الصوديوم)، مما يعنى أن عقلك سيستجيب فوراً لمصل الحقيقة، التي استعرت عينة مركزة منه.

ودفع إبرة المحقن في عروق (رأفت)، في قسوة مؤلمة، وهو يضيف:

- مما يعنى أننا سنقضى وقتاً طريفاً معاً.

دفع المادة كلها في دماء (رأفت)، واعتدل يراقب هذا الأخير، وهو يغلق عينيه في قوة، محاولاً مقاومة ذلك المصل، الذي راح يتسلل إلى عقله..

ويتسلل..

ويتسلل..

ولم تمض دقائق خمس، حتى زاغت عيناه، وبدا أشبه بالنائم، أو بمن وقع تحت تأثير خمر قوى، فجلس (عزرا) على مقعد أمامه، وسأله في هدوء:

- ماذا تخفى؟!

انفرجت شفتا (رأفت)، في استسلام تام، وغمغم بكلمة، لم يسمعها (عزرا)، فمال نحوه، وأمال أذنه نحو شفتيه، وهو يسأله في اهتمام:

- ماذا؟!

وغمغم (رأفت) بكلمة واحدة:

- الفهد.

وتراجع (عزرا) بمنتهى الدهشة، وهو يهتف:

- الفهد؟!.. أي فهد؟!

تمتم (رأفت) شبه النائم:

- الفهد قادم.

وفى هذه المرة، لم يفهم (عزرا) شيئاً..

أي شيء..

* * *

لم يكد مدرّب العلاج الطبيعي ينتهي من عمله، ويعيد العميد بمقعده المتحرّك إلى حديقة فيلته، حتى توقّفت سيارة اللواء أمام الفيلا، وهبط منها الأخير، وتوقّف في مكانه، ينظر إلى المدرّب في حذر، فقال العميد مبتسماً:

- إنه خاص بقوات الأمن.

ابتسم اللواء ابتسامة مجاملة، وأومأ برأسه في هدوء، ظلّ يتابع الرجل ببصره، حتى غادر الفيلا، ثم اتجه نحو العميد، قائلاً:

- المفترض أن تبلغنا بكل من يدخل فيلتك.

أشار العميد بيده، قائلاً:

- لقد طلبت مدرّباً للعلاج الطبيعي، فانتدبوه من قوات الأمن.

قال اللواء في حزم:

- القواعد هي القواعد... هل تعرف اسمه وبياناته؟!

أخرج العميد بطاقة من جيبه، ناوله إياها، قائلاً:

- ها هي ذي.

دسّها اللواء في جيبه، قائلاً:

- هذا أفضل.

مال العميد نحوه، قائلاً:

- إنك لم تأت هنا للتأكّد من سلامتي الأمنية.

تمتم اللواء:

- هذا صحيح.

واعتدل في مقعده، مكملاً في حزم:

- فهدك استقل طائرة (تل أبيب)، مع رجل مخابرات إسرائيلي، وهو يحمل جواز سفر إسرائيلي، باسم (إبراهيم يعقوب).

التمعت عينا العميد، وهو يقول:

- ومتى ستصل الطائرة إلى الهدف؟!

أجابه اللواء على الفور:

- بعد ساعة واحدة.

تراجع العميد في مقعده المتحرك، وبدا شارداً لحظات، فسأله اللواء:

- هل درست خطواتك القادمة جيداً؟!

أجابه، وكأن هذا جزءاً من شروده:

- بالتأكيد.

ثم اعتدل، وبدا شديد الثقة، وهو يضيف:

- لقد وقع اختياري على (أدهم)، كخطة احتياطية، من قبل حتى أن تبدأ عملية (دافيد شولومون).

سأله في دهشة:

- هل كنت تتوقع هذا؟!

تطلّع العميد لحظات إلى رقعة الشطرنج أمامه، وقال:

- اللاعب الماهر، عليه أن يضع كل الاحتمالات في توقعاته.

ثم رفع عينيه مرة أخرى إلى اللواء، مكملاً:

- حتى النادرة منها.

غمغم اللواء:

- هذا ليس بالأمر السهل.

أشار العميد بيده، قائلاً:

- وليس بالمستحيل أيضاً.

مطّ اللواء شفتيه، ومال نحوه يسأله:

- وما الذي تتوقّع أن يحققه فهدك؟!

أجابه العميد، بكلمة واحدة مقتضبة وحازمة:

- المستحيل!

واتسعت عينا اللواء، في دهشة حقيقية..

وابتسم القدر..

فكل منهما لم يكن يعلم، أتوقّع هذا..

أم نبوءة؟!..

* * *

تل أبيب سبتمبر 1970م.

بدا الشاب شديد التوتر والعصبية، وهو يغادر مع

رجل المخابرات الإسرائيلي مطار (اللد) الإسرائيلي، شأن أي شاب مصري عادى، يصل إلى (إسرائيل)، في زمن الحرب..

وفى عصبية شديدة، سأل رجل المخابرات:

- إلى أين ستذهب بالضبط؟!

أجابه الإسرائيلي في اقتضاب صارم:

- ستعرف عندما نصل.

واصل الشاب تمثيله المتقن لدور المرتبك المضطرب، حتى وصلت سيارة سوداء، ذات زجاج داكن، وخرج منها رجل صارم صامت، فتح بابها الخلفي، فدفع رجل المخابرات الشاب إليه، قائلاً في خشونة:

- هيا.

دلف الشاب إلى السيارة في صمت، ولاذ بالصمت التام، وهى تنطلق به، عبر شوارع (تل أبيب)، التي

يحفظها عن ظهر قلب، بعد أن عهد إليه العميد بهذا، وتظاهر بالتوتر الشديد، وهو يقول لرجل المخابرات الإسرائيلي:

- أمن الضروري أن تكون النوافذ معتمة؟!

لم يجبه رجل المخابرات الإسرائيلي، الذي حافظ على ملامحه الجامدة الصارمة، وصمته القاسي المطلق، والسيارة تواصل طريقها، فتراجع الشاب في مقعده، وراح يراجع تلك الخطة، التي قضى أكثر من ثلاث ساعات مع العميد؛ ليحفظها عن ظهر قلب..

كانت خطة شديدة التعقيد، كثيرة التفاصيل، تشف عن عقلية عبقرية نادرة، ذات قدرة مدهشة على الاستقراء والاستنباط..

وفى أعماقه، شعر الشاب بإعجاب وانبهار شديدين، بعقلية العميد، وأسلوبه في التدبير والتخطيط..

ولقد حاول دراسة تلك الخطة في إمعان..

لو قدر له أن يصبح يوماً جزءاً من هذا العالم، فلابد وأن يتبع هذا النمط، في ضع خططه..

النمط الذي يتوقّع كل الخطوات..

وكل التفاصيل..

وكل الاحتمالات..

والذي يتعامل مع الخطوة الأخيرة، قبل حتى أن يبدأ الخطوة الأولى..

ويا له من نمط!..

ليته يستطيع أن يتبعه يوماً..

ليته يفعل..

قطع رجل المخابرات الإسرائيلي أفكاره، وهو يقول كلمته الوحيدة، في صرامة شديدة:

- هيا.

لاحظ الشاب أن السيارة قد توقفت، فأبدى اضطراباً شديداً، وهو يسأل:

- أين نحن؟!

غادر رجل المخابرات السيارة، وجذبه في صمت، دون أن يجيبه، وتلفّت الشاب حوله، يتطلّع إلى ساحة (الموساد) المغلقة، التي سبق له مطالعتها، في عشرات الصور، في منزل العميد، وعلى الرغم من هذا، فقد أبدى شديد الاضطراب، وهو يتساءل:

- ما هذا المكان؟!

جذبه رجل (الموساد) في قسوة، دون أن يجيبه، وراح كلاهما يعبران وسائل الأمن المختلفة، وفى كل مرحلة منها يتم تصوير الشاب، وتسجيل بصماته، حتى بلغا مكتب صغير، يحوى مكتباً خشبياً ومقعدين، دفعه رجل (الموساد) للجلوس على أحدهما، وهو يقول في خشونة:

- انتظر هنا.

جلس الشاب صامتاً، متظاهراً بالتوتر والاضطراب، وهو يتلفّت حوله، في الحجرة المغلقة، ومرّ بعينيه مروراً سريعاً، على تلك المرآة، في الجدار المواجه للمكتب، قبل أن يغمغم في عصبية، وكأنه يحدّث نفسه:

- أين أنا؟!..

وعلى الجانب الآخر لتلك المرآة المزدوجة، جلس مدير (الموساد) مع (عزرا)، في حجرة صغيرة مظلمة، يراقبان الشاب، الذي يجلس في الحجرة الأخرى، عبر الوجه المنفذ للمرآة، والمدير يقول:

- لم يتوقف ببصره لحظة واحدة، عند المرآة المزدوجة.

غمغم (عزرا) في تفكير:

- هذا يعنى أنه لم يفهم ماهيتها.

ثم صمت لحظة، قبل أن يضيف في شك:

- أو أنه بارع في التظاهر بهذا.

ابتسم المدير، وقال:

- ألا يمكنك أن تخمد شكوكك هذه قليلاً؟

- أجابه (عزرا) في حزم:

- رجل المخابرات الحقيقي، لا يخمد شكوكه قط، فهي جزء قوى من نجاحه.

مال المدير حوله، قائلاً:

- ورجل المخابرات الناجح ينبغي له أن يثق في خطواته، في مرحلة ما، وإلا أفسد عمله كله، بشكوك لا محل لها.

غمغم (عزرا) في توتر:

- ربما لم أبلغ هذه المرحلة بعد.

قلب المدير كفه، وهو يعتدل، قائلاً:

- إننا أمام احتمالين، لا ثالث لهما، فإما أن الشاب صادق في كل ما يقوله، وأنه يلجأ إلينا بالفعل، ويمكننا أن نستخلص منه معلومات شديدة الأهمية، وإما أنه يخدعنا لسبب ما، وفى براعة مذهلة، لا تتفق مع سنوات عمره القليلة، وخبراته شبه المنعدمة حتماً، فما الاحتمال الذي يبدو أقرب إليك؟!

أجابه (عزرا):

- بالنسبة لي، كلا الاحتمالين ما زال قائما.

سأله المدير في دهشة:

- حتى بعد أن أثبتت تحرياتنا ومعلوماتنا صدق ما قاله.

صمت (عزرا) لحظات، وهو يراقب الشاب، عبر المرآة المزدوجة، قبل أن يقول في حزم شديد:

- ما زلت أحتاج إلى خطوة حاسمة.

سأله المدير:

- لماذا لا نستمع إلى ما لديه أوّلاً؟!

عقد (عزرا) حاجبيه، وكأنما أحنقه أنه لم يطرح هذا من ناحيته، وقال في شيء من الصرامة، دون أن ينتبه إلى فارق الرتب، بينه وبين رئيسه:

- دعنا نختبره بوسائلنا أوّلاً.

قال المدير في صرامة:

- سنستمع إليه أوّلاً، ثم نختبر صحة ما يقول بعدها.

قال معترضاً:

- ولكن ماذا لو...

قاطعه المدير، في صرامة قاسية:

- سنستمع إليه أوّلاً.

مطّ (عزرا) شفتيه محنقاً، ولكنه غمغم:

- كما تأمر.

وفى تلك اللحظة، شعر أنه يبغض ذلك الشاب، من قبل حتى أن يواجهه..

يبغضه بشدة..

* * *

"إنه هناك.."..

نطقها اللواء في اهتمام شديد، جذب انتباه العميد في شدة، وجعل عيناه تتألقان، وهو يقول:

- عظيم.. عظيم..

وعلى الرغم من معرفة اللواء القديمة به، وثقته الشديدة في رجاحة عقله، وحسن تفكيره وتدبيره، لم يستطع كتمان شكوكه ومخاوفه هذه المرة، وهو يقول:

- ليتني أمتلك ثقتك هذه.. إنه شاب صغير السن، قليل الخبرة، مهما بلغت مهاراته، وهو داخل وكر الذئاب، وعليه أن يواجه عمالقة (الموساد)، ويخدعهم، ويهزمهم.. وهذا ليس بالأمر السهل.

ابتسم العميد ابتسامة غامضة، وهو يقول:

- الأمر لن يقتصر على المواجهة والخداع.

بدا توتر أكثر، في ملامح العميد وصوته، وهو يقول:

- إلى ماذا سيمتد أكثر؟!

تراجع العميد في مقعده المتحرّك، وازدادت ابتسامته غموضاً، وهو يجيب:

- إلى القتال.

كاد اللواء يقفز من مقعده، وهو يهتف مستنكراً:

- قتال؟!

ثم نهض بالفعل، وبرز توتره واضحاً، وهو يقول:

- اسمعني جيداً أيها العميد.. قاعدة العمل في المخابرات هي ألا يتم اتخاذ قرارات فردية قط.. وكل حالة لابد لها من فريق عمل، يتبع ضابط حالة، وكل القرارات تتخذ بموافقة إجماعية، وبعد مناقشات عديدة.

غمغم العميد في هدوء:

- هذا صحيح.

أضاف اللواء في صرامة، وهو يشير إليه:

- ولقد وافقنا بالإجماع على استثنائك من هذا، باعتبارك عقلاً مفكراً ومخططاً لا مثيل له، ولأن التجربة أثبتت أنك تجيد العمل وحدك، بأفضل مما تجيده مع آخرين، ثم أنك ترأس قسماً جديداً، يحتاج إلى فكر جديد.

لم يحاول العميد التعليق على عبارته هذه المرة، وظلّ يتطلّع إليه في صمت، واللواء يكمل في شيء من الحدة:

- ولكن هذا لا يعنى أن نجهل كل شيء عما تعده

وتخطط له، وأن تفاجئنا خطواتك دوماً.

قال العميد في حزم:

- كان هذا، ولا يزال، شرطي الوحيد.

هتف اللواء:

- ونحن لم نعترض فيما سبق، أما هذه المرة..

قاطعه العميد في حزم:

- فقد خسرت ثقتكم.

أجاب اللواء في سرعة:

- مطلقاً.. كل ما في الأمر أننا قلقون، بشأن إسناد عملية بهذه الحساسية والخطورة، إلى شاب لم يتجاوز الـ...

قاطعه مرة أخرى:

- وهذا يبدو مستحيلاً، من وجهة نظر الجميع.. أليس

كذلك؟!

أجابه في عصبية:

- بالتأكيد.

أجابه العميد في هدوء هذه المرة:

- هذا بالضبط ما سيشعر به الإسرائيليون.. سيجدون أنفسهم أمام احتمالين، لا ثالث لهما.. إما أنه صادق، أو مخادع.

قال اللواء في توتر:

- وسيسعون لاختبار هذا بكافة الوسائل.

هزّ اللواء كتفيه، وقال:

- هذا لا يقلقني.

تطلّع إليه اللواء طويلاً، محاولاً أن يستشف ما يدور في ذهنه..

ولكن هذا مستحيل، بالنسبة للاعب شطرنج محترف، مثل العميد..

من المستحيل أن تستشف انفعالاته من ملامحه..

مهما حاولت..

ومهما فعلت..

واللواء يعرف هذا..

ويدركه جيداً..

لذا، فقد اكتفى من المحاولة، وتنهّد في بأس، وهو يعاود الجلوس، قائلاً في عصبية، لم يستطع إخفاءها:

- هل تثق حقاً في قراراتك هذه المرة؟!

أجابه في حزم:

- تمام الثقة.

زفر اللواء، بكل توتره وعصبيته، وغمغم:

- أتعشّم هذا.

في نفس اللحظة التي نطقها فيها، كان مدرّب العلاج الطبيعي يختفي خلف شجرة بعيدة، ويراقب الاثنين خفية، في اهتمام شديد، قبل أن يغمغم:

- لم يعد هناك أدنى شك... إنه هو.

قالها، وأخرج من جيبه صورة للعميد، قبل إصابته في (بيروجيا)، ومزّقها إلى عدة قطع صغيرة، ألقاها في الهواء، وهو يراجع الخطوة التالية، التي أخبره بها سادته..

الإسرائيليين.

* * *

4 - الحقيقة..

ثلاث دقائق كاملة مرّت، و(عزرا) يجلس صامتاً صارماً، يتطلّع إلى وجه الشاب، وكأنه يفحص كل خلجة من خلجاته، والشاب يفرك كفيه في توتر، قبل أن يقول:

- هل سنصمت طويلاً؟!

انعقد حاجبا (عزرا) في صرامة شديدة، جعلت الشاب يتراجع، وينكمش في مقعده، قائلاً في عصبية:

- لم آت هنا، لأجلس صامتاً هكذا.

قال (عزرا) في صرامة:

- أتيت لأننا أردنا هذا.

هتف الشاب، وكأنه يوشك على البكاء:

- ولماذا أردتم هذا؟!

مال (عزرا) نحوه بحركة مباغتة، وهو يسأله في شراسة:

- لماذا أتيت إلى هنا؟!

بدا اضطراب متقن على الشاب، وهو يقول:

- لقد أخبرتكم.

قلب (عزرا) شفتيه، قائلاً في ازدراء:

- أخبرتنا قصة تافهة، لا يمكن تصديقها.

قال الشاب في عصبية:

- ولكنها الحقيقة.

كان عقل (عزرا) يميل إلى الاقتناع بما يقوله الشاب، خاصة وأن كل النتائج والتحريات والمعلومات، التي جمعها فريق كامل من الجواسيس والعملاء، مع نتائج

اختبار كشف الكذب، كلها تؤيّد ما يقول..

ولكن غريزته كانت تأبى هذا تماماً..

غريزته تصرّ على أنه هناك خطأ ما..

خطأ ربما لم يدركه..

أو يرصده..

أو حتى ينتبه إليه..

ولكنه هناك..

حتماً هناك..

والكل من حوله مقتنعون أنه ليس محقاً..

وأن عليه أن ينتقل إلى الخطوة التالية..

الخطوة التقليدية..

وكم يمقت الوسائل التقليدية!!..

ولكنه مضطر للجوء إليها..

حتى لا يخسر فرصته على الأقل..

وفى صرامة عصبية، دفع كومة من الأوراق، ومجموعة من الأقلام نحو الشاب، قائلاً:

- اكتب هنا كل ما أخبرتنا به.

قال الشاب في عصبية:

- لقد كتبته بالفعل، في سفارتكم في (روما).

أجابه في صرامة:

- اكتبه مرة ثانية.

وفى استسلام، سحب الشاب الأوراق والأقلام، وبدأ يكتب، وهو يقول في عصبية:

- متى ينتهي كل هذا؟!

أجابه (عزرا) في صرامة:

- عندما نكتفي.

تراجع في مقعده، وهو يراقب الشاب، والتوتر في أعماقه يتزايد..

ويتزايد..

ويتزايد..

فوفقاً للرسميات، المفترض أن يدفع الشاب لكتابة قصته ثلاث مرات؛ حتى يقارن الخبراء قصته في المرات الثلاث، فلو تطابقت تماماً، كان هذا دليلاً على أنها قصة ملفقة..

وهذا سيستغرق يوماً كاملاً على الأقل..

وهذا عيب الوسائل التقليدية..

أكبر عيب..

* * *

ازدحمت محطة القطار الرئيسية في (القاهرة)، والشامخة منذ سنوات، في ميدان (رمسيس)، بمئات

المسافرين، الرائحين والغادين، وكلهم يحملون حقائبهم، أو يلملمون أطفالهم، أو يصطحبون زوجاتهم، في جلبة واضحة، وبخاصة في تلك الفترة، التي استعد فيها الكل لبدء السنة الدراسية الجديدة، وما تستلزمه من احتياجات ومطالب..

وعند بائع صحف بسيط، يفترش أحد أرصفة المحطة، توقف مدرِّب العلاج الطبيعي، يطالع بعض الصحف والمجلات، وكأنه ينتقي منها ما يناسبه، ثم أمسك مجلتين أسبوعيتين، واعتذر لرجل نحيل، ارتطم به عن غير عمد، كما بدا للمارة، ثم سأل بائع الصحف عن ثمن إحدى المجلتين، وأخرج النقود من جيبه؛ ليدفع ثمنها، ثم دسَّ ورقة صغيرة في المجلة الثانية، دون أن يلاحظه أحد، وأعاد المجلة إلى موضعها، فالتقطها النحيل في تلقائية، وتظاهر بتقليب صفحاتها لحظات، ثم دفع ثمنها للبائع، وانصرف هو والمدرِّب في اتجاهين مختلفين، دون أن يلقى أحدهما ولو نظرة فضول على الآخر..

وفى بساطة واضحة، غادر النحيل المحطة، واستقل سيارة بسيطة، كانت في انتظاره مع سائق ضخم، تبدو ضخامته غير متناسقة مع نحوله هو، ولكنه لم يكد يدخل السيارة، حتى انطلق بها الضخم، وسأله وهما يبتعدان عن المحطة، دون أن يلتفت إليه:

- رسالة جديدة.

غمغم النحيل، وهو يلتقط الورقة، من داخل المجلة:

- من الواضح أنها هامة وعاجلة، وإلا لما أصرّ (خوفو) على أن نلتقي بهذه السرعة، خلافاً للجدول المعتاد.

كان (خوفو) هذا هو الاسم الكودي، الذي يطلق على مدرّب العلاج الطبيعي، الذي لم يكن في الواقع سوى جاسوس للإسرائيليين، التقطوه على الرغم من عمله في المستشفى التابع للشرطة، عندما لاحظوا اضطراباته المالية، التي واكبت علاقته بحسناء، التقطها ذات يوم،

من الفندق الذي اعتاد السهر فيه..

كانت شقراء فاتنة، ذات عينين بنيتين، وابتسامة ساحرة، خلبت لبه منذ اللحظة الأولى، فلم يرفع عينيه عنها، طوال ساعة كاملة، حتى منحته واحدة من ابتساماتها، وانتقلت إلى مائدته، تسأله في جرأة، لماذا يراقبها طوال الوقت..

لحظتها ارتبك في شدة، وحار في إجابتها، ولكنها أطلقت ضحكة عذبة، وأخبرته أن هذا يروق لها كثيراً، ثم أخبرته اسمها، وراحا يتجاذبان أطراف الحديث، حتى بعد منتصف الليل بساعة كاملة..

ومنذ تلك الليلة، غرق المدرّب في حبها حتى النخاع، وحرصت هي على أن تجذبه إليها أكثر في كل يوم، حتى لم يعد يستطيع العيش بدونها، فعرض عليها الزواج في لهفة، ولكنها أبدت تردُّداً، باعتبار أنها كثيرة النفقات، وربما لا يستطيع دخله مواكبتها..

ومع شدة حبه لها، بدأ المدرّب ينفق عليها كل مدخراته، ويغمرها بهداياه وحبه، في محاولة لاجتذاب رضائها، حتى نفدت مدخراته كلها، واضطر للاستدانة، وتعثّرت أموره، ولم يعد قادراً على الاستمرار..

وهنا، قدّمت له الحسناء عرضها..

عمل بسيط، مع جهة أجنبية، تعمل هي لحسابها، ولا يتطلّب منه سوى كتابة مقالات باسم مستعار، عن الروح المعنوية المصرية، وأسعار السلع، ورغبة الناس الحقيقية في تحرير (سيناء)، حتى ولو أدى هذا إلى ارتفاع الأسعار، وقلة السلع والخدمات أكثر..

في البداية، بدا المدرّب متردّداً، ومن ناحيتها، لم تحاول هي الضغط عليه، ولكنها بدأت تهمل الرد على اتصالاته، وتتلكأ في تلبية دعواته، وتتحاشى الحديث معه، لفترة زادت عن أسبوع كامل، مما دفعه إلى قبول عرضها، على أمل استردادها..

ولقد استردها بالفعل..

وخسر نفسه..

فلم يمض شهران آخران، حتى كان يرسل المعلومات على نحو منتظم، بعد أن تطوّرت إلى معلومات عن الأمن الداخلي، وجهاز الشرطة، ونظم تأمين الكباري والمنشآت الحيوية، ووسائل الدفاع المدني..

وكانت المكافآت دوماً سخية ومغرية، ساعدته على سداد كل ديونه، وتجاوز اضطراباته المالية، والعودة للإنفاق بسخاء على حسناته الشقراء، التي كانت تمنحه المزيد من حبها واهتمامها، كلما زادت المعلومات التي يجلبها غزارة وأهمية..

وفى لحظة ما، صارحته الحسناء، بأنه يعمل لحساب (إسرائيل)، ويتقاضى مكافآته منها طوال الوقت..

كانت صدمة عنيفة له، ولكنه كان قد تورّط بالفعل،

وإلى حد كبير..

عند هذه المرحلة، كان يمكنه أن يتجه إلى مبنى المخابرات العامة، ويدلى بما لديه، ويتعاون لكشف الباقين، خاصة وأن الرئيس (جمال عبد الناصر) كان قد أصدر قراراً بالعفو عن أي جواسيس لـ(إسرائيل)، يسلمون أنفسهم طواعية للسلطات..

كان لديه الخيار إذن..

ولكنه ما زال يعشق الشقراء..

لذا، فقد قبل الأمر بإرادته، وبدأ يتقاضى مكافآته، ويوقّع إيصالات تحمل اسم (الموساد) طواعية..

وهكذا، توغّل في مستنقع الخيانة، وغاص فيه أكثر..

وأكثر..

وأكثر..

عندئذ تلقّى تدريبات أكثر..

وقدّم معلومات أكثر..

وعندما حصل على الاسم الكودي (خوفو)، كان قد أصبح أحد أهم جواسيس (الموساد) في (القاهرة)..

وعندما طلب اتصالاً عاجلاً، كان من الضروري أن يتم على الفور..

وكان من الطبيعي أيضاً أن يفض النحيل رسالته بمنتهى اللهفة والاهتمام..

كانت مكتوبة بشفرة خاصة، ولكن النحيل كان يجيد قراءتها، لذا فقد انعقد حاجباه بمنتهى الشدة، وقال للضخم:

- إنها معلومة شديدة الخطورة بالفعل.

ثم رفع عينيه، مضيفاً في توتر:

- لابد وأن تصل إلى (تل أبيب)... الليلة.

وانعقد حاجبا الضخم أيضاً..

فهذا يعنى أن المعلومة بالفعل خطيرة..

وإلى أقصى حد..

* * *

"اعترافاته منطقية تماماً.."..

ألقى (عزرا) العبارة، في غيظ عجيب، بدا غير مبرّر، في نظر مدير (الموساد)، الذي سأله في صرامة:

- وماذا تنتظر إذن؟!

انعقد حاجبا (عزرا) في توتر، ولم يجد بالفعل ما يقوله، أو يبرّر به ذلك الشك، الذي ما زال يعربد في أعماقه، فقال بشيء من التوتر:

- لابد وأن نختبره بـ..

قاطعه المدير في صرامة:

- أحضر الشاب.

ازداد انعقاد حاجبي (عزرا)، وهو يقول في عصبية:

- ليس بهذه السرعة.

كرّر المدير بمنتهى الصرامة:

- أحضر الشاب.

مطّ (عزرا) شفتيه في ضيق، وتساءل، وهو يشيح بوجهه:

- هنا؟!

شعر المدير بالغيظ؛ بسبب هذا السؤال المستفز، فأجاب في صرامة:

- ومنذ متى يلتقي مدير (الموساد) شخصياً بأحد المتعاونين.

سأله (عزرا) في عصبية:

- إلى أين إذن؟!

صمت المدير لحظات، وهو يقيّم الوضع كله، ثم قال في حزم:

- أحضره إلى (رودشتاين).

شعر (عزرا) وكأن الاسم رصاصة، انغرست في صدره مباشرة، وهو يهتف:

- (رودشتاين)؟!

كان (رودشتاين) هذا هو خصمه اللدود، منذ التحق كلاهما كضابط في (الموساد)..

ولقد كان يمتلك مزية، يفتقر إليها (عزرا)..

كان غربياً، من (الإشكيناز)..

وكان هذا يعنى أن أمامه فرص أكثر للتقدُّم..

والتطور..

والترقي..

وانتقال العملية إليه، في هذه المرحلة، يعنى أنه هو قد فشل..

أو أن شكوكه المبالغة قد أفسدت عمله..

وأضاعت فرصته..

وحطّمت طموحه..

وبكل توتر الدنيا، سأل المدير:

- ولماذا (رودشتاين)؟!

أجابه المدير في صرامة:

- تكفيك عملية رجل العمليات الخاصة المصري.. لا ينبغي أن تشتت تفكيرك بعملية أخرى..

قال (عزرا)، محاولاً الدفاع عن موقفه:

- يمكنني أن..

قاطعه المدير، في صرامة شديدة:

- (رودشتاين).

ضمّ (عزرا) شفتيه في قوة، حتى لا ينفجر غضبا، وهو يقول:

- كما تأمر.

وعندما غادر مكتب المدير، كان مصراً على انتزاع أية معلومة ممكنة من رجل العمليات الخاصة المصري.

وبأي ثمن..

حتى ولو اضطر لقتله..

بلا رحمة..

* * *

لم يكن النحيل يصل إلى منزله، المطلّ على نيل (القاهرة) مباشرة، حتى أغلق الباب خلفه في إحكام، وخرج إلى الشرفة، وثبّت قطعة من الحديد، في سورها

الخارجي، ووضع على قمتها شريحة عريضة من الصفيح، ذات حواف ملتوية، ثم أوصل كل هذا بسلك خاص، مدّه في حذر، وهو يجوس بعينيه؛ للتيقن من أن أحداً لا يراقبه، حتى بلغ به حجرة الطعام، وأغلق بعدها الشرفة بنفس الإحكام، ثم هبط تحت منضدة الطعام، والتقط بعض قطع، قام بتركيبها مع بعضها البعض، في سرعة تشف عن اعتياده هذا، فتكوّن منها جهاز لاسلكي خاص، راح يرسل عبره بثاً لاسلكياً مشفراً خاصاً للغاية..

بث ينقل بالنص تلك الرسالة، التي سلمه إياها مدرّب العلاج الطبيعي، في محطة (مصر)..

ولقد انتقلت الرسالة إلى سفينة خاصة، تحمل علم (أرتيريا)، خارج حدود المياه الإقليمية..

وبعد لحظة واحدة، تم إعادة بثها إلى غوّاصة إسرائيلية، في مكان ما من البحر الأبيض المتوسّط..

وبعد ساعتين، كانت الرسالة أمام مدير (الموساد)،

الذي لم يكد يقرأها، حتى هبَّ من خلف مكتبه، هاتفاً:

- مستحيل!.

حدَّق في الرسالة، التي ترجمها قسم الشفرة، مرة أخرى في دهشة، قبل أن يضعها على سطح مكتبه، ويتراجع في مقعده، مغمغماً:

- إذن فهو حي.

استعاد ذهنه تفاصيلاً عديدة..

(بيروجيا)..

والعميل هناك..

والمصريين..

وذلك الانفجار...

أيامها تصوَّر الكل أن رجل المخابرات المصري الشهير قد لقي مصرعه..

المصريون أحاطوا أمره بسرية بالغة..

وفى ملفات (الموساد)، تم اعتباره ميتاً..

وسار الحال على هذا الأمر..

حتى بدأت عملية (دافيد شولومون)..

الأسلوب الذي تتبعه المخابرات المصرية، كان يشير إلى شخص بعينه..

شخص اشتهر بدقته..

وحنكته..

وبراعته..

وأسلوبه المبتكر الفريد..

شخص اعتبرته ملفاتهم في حكم الموتى..

ولقد تم عرض هذا على خبراء (الموساد)..

على طاقم خاص، من أفضل خبرائه..

وكانت النتيجة، التي اتفق عليها الكل، مذهلة..

إنه هو..

حتماً هو..

حتى ولو بدا هذا مستحيلاً..

ففي عالم المخابرات، عندما تصل الأمور إلى نقطة بعينها، يصبح ما تشير إليه الأدلة هو الحقيقة..

حتى لو خالف المنطق المعتاد..

أو بدا مستحيلاً..

ومن هذا المنطلق، بدأ الإسرائيليون يجمعون المعلومات مرة أخرى، عن رجل المخابرات المصري..

ولقد احتاج هذا إلى نصف جواسيس (الموساد) في (القاهرة) تقريباً..

ثم كانت شكوك مدرّب العلاج الطبيعي، في ذلك

الوقور المقعد، الذي لا يتوقف عن لعب الشطرنج إلا نادرًا، والذي لا ينطق بكلمة واحدة، طوال جلسة العلاج..

وبناءً على طلبه، أرسلت إلى (إسرائيل) صورة قديمة لرجل المخابرات المصري..

وجعله هذا يتعرّفه..

ويبلغ سادته في (إسرائيل)..

وفى مكتبه، جلس مدير (الموساد) صامتاً، يدرس الأمر في تروٍ وتفكير عميق..

هذا يعنى أنه الذي يدير اللعبة بالفعل..

يديرها بأسلوبه الخاص..

الخاص جداً..

والمفترض، في أي جهاز مخابرات، أن يدرس أساليب ضباط الخصم، حتى يجيد التعامل معهم، في كل

عملية يديرونها..

ولكن هذا الرجل بالذات، كان أكبر تحد، يواجه أجهزة المخابرات الإسرائيلية، منذ نشأتها الأولى..

فقد يمكنك أن تدرس أسلوبه مرة..

ولكن ليس حتماً كل مرة..

فهو لاعب بارع للغاية..

وربما أكثر مما ينبغي..

ففي كل مرة يتغيّر أسلوبه..

ويتبدّل..

ويتطوّر..

ويزداد براعة..

ومهارة..

وتعقيداً..

فريق كامل من رجال المخابرات الإسرائيلية، حاولوا أكثر من مرة فهم أسلوبه..

أو توقع خطواته..

أو استنتاج ما يسعى إليه..

وكلهم فشلوا..

وانهزموا..

وبشدة..

كان دائماً أذكى وأبرع منهم..

لاعب شطرنج عبقري، يستحيل أن تتوقع خطوته التالية، أو ما يرمى إليه..

مهما فعلت..

أو حاولت..

ومثل هذا الرجل، يمثّل خطراً رهيباً، ليس على أجهزة المخابرات البريطانية، ولكن على أمن (إسرائيل)

كلها، لو نظرنا بنظرة مستقبلية..

وصحيح أن نظم أجهزة المخابرات لا تميل إلى العمليات الانتقامية..

ولكن هناك حتماً استثناءات..

وأهمها وأخطرها، وأهم حجة تلجأ إليها، هي أمن وسلامة دولة (إسرائيل)...

ومن هذا المنطلق، لابد من تصفية رجل المخابرات المصري العبقري..

وبأي ثمن..

ولكن كيف؟!..

ومن يمكن أن يفعلها؟!

من؟!..

* * *

بدا (رودشتاين) شديد البرود، وهو يتطلّع إلى

الشاب، الذي قال في عصبية، توحي بنفاد الصبر:

- متى ينتهي كل هذا؟!

أجابه (رودشتاين) في برود:

- قريباً.

وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه، مستطرداً:

- ماذا لديك لتخبرنا به؟!

قال الشاب في عصبية وعناد:

- ليس قبل أن أحصل على حق الإقامة هنا.

فتح (رودشتاين) درج مكتبه، وسحب منه ورقة، دفعها أمام الشاب، قائلاً:

- لقد حصلت عليها.

أبدى الشاب منتهى الفرحة والارتياح والاضطراب، وهو يمد يده نحو الورقة في لهفة، قائلاً:

- أخيراً.

سحب (رودشتاين) الورقة، قبل أن تصل إليها يد الشاب، وهو يقول في صرامة:

- ليس قبل أن نعلم ماذا لديك؟!

تابعت عينا الشاب الورقة في لهفة، وهو يقول:

- هناك عملية شديدة العنف، سيتعرَّض لها الكنيست، خلال أسبوع واحد من الآن.

انعقد حاجبا (رودشتاين) في شدة، وإن حافظ على برودة صوته، وهو يقول:

- متى وكيف؟!

أشار الشاب بيده، قائلاً:

- لست أدرى متى وكيف؟!

سحب (رودشتاين) الورقة، ليعيدها إلى درج مكتبه،

وهو يقول في صرامة:

- في هذه الحالة..

هتف الشاب في لهفة:

- ولكنني أعرف المسئول عن تنفيذها..

مال (رودشتاين) نحوه، محاولاً تفرُّس ملامحه، وهو يسأله:

- من هو؟!

بدا بصر الشاب واهتمامه معلقين بوثيقة الإقامة، وهو يقول:

- أعرف أنهم يسمونه الفهد.

قال (رودشتاين) في صرامة:

- مجرَّد اسم كودي.

قال الشاب في لهجة توحي بالمرارة:

- أبى لا يستخدم الأسماء الحقيقة قط.

مطّ (رودشتاين) شفتيه في اعتراض، فأسرع الشاب يقول، وكأنه يحاول أن يسترضيه:

- ولكنني أعرف صورته.

تألّقت عينا (رودشتاين)، على الرغم من ملامحه الباردة، وهو يسأله:

- أتعنى أنه يمكنك تعرّفه؟!

أجابه في حماس ولهفة:

- بالتأكيد.

والتمعت عينا (رودشتاين) بشدة..

فقد كان هذا يعنى له الكثير..

والكثير جداً.

* * *

5 – الفهد

صفعة قوية، تلك التي هوى بها (عزرا) على وجه (رافت)، وهو يصرخ فيه:

- ماذا تخفى؟!

مسح (رافت) خيط الدم، الذي سال من ركن شفتيه المتورمتين، وهو يقول:

- هل فقدت هدوءك أخيراً، يا رجل (الموساد)؟!

احتقن وجه (عزرا) في غضب، وهو يميل نحوه، ويجذبه من قميصه في عنف، صائحاً في وجهه:

- لا تتقمّص شخصية أبطال السينما أيها المصري.. لعبة البطل الساخر هذه لا تليق بك.

حاول (رأفت) أن يبتسم، وهو يقول:

- أما لعبة صاحب الأنفاس الكريهة، فهي تناسبك تماماً.

كان (عزرا) ينفجر غضباً، وهو يصيح به:

- قلت لك: إن هذه اللعبة لا تناسبك، ولكن يبدو أنك لا تجيد فن الاستماع، ولا تذكر حتى أين أنت.. إنك هنا، في عريننا أيها المصري.. حاول أن تدرك ما يعنيه هذا.

كان (رأفت) يكاد يفقد وعيه، من شدة الألم والإرهاق، ولكن شيئاً ما، في أعماق كرامته ومصريته، أبى عليه أن يخضع لإسرائيلي، فقال، محاولاً استجلاب أكبر قدر من السخرية من أعماقه:

- لا أستطيع الفهم بالطبع، فالذئاب تحيا في وكر، وليس في عرين.

اعتدل (عزرا) في حركة حادة سريعة، وهوى

بصفعة أكثر عنفاً، على وجه (رأفت)، وهو يصرخ:

- أيها الحقير.

وعلى الرغم من آلامه، أجابه (رأفت) في ازدراء:

- الحقير هو من يبرز قوته، أمام شخص أعزل محاصر.

اشتعل وجه (عزرا) غضباً، وسحب مسدسه، في حركة عنيفة، و...

"المدير يطلبك يا أدون (عزرا)..".

نطقها الحارس في توتر، وهو يراقب في قلق ذلك المسدس، الذي يمسك به (عزرا)، فالتفت إليه هذا الأخير بحركة حادة، وصوّب مسدسه إليه، فتراجع الحارس، هاتفاً في ذعر:

- يطلبك فوراً.

تطلّع إليه (عزرا) في غضب شديد، وكأنه سيطلق

عليه النار بالفعل، إلا أنه لم يلبث أن أعاد مسدسه إلى غمده، وهو يقول في عصبية:

- سأذهب إليه.

ثم التفت إلى (رافت)، وقال في شراسة شديدة:

- سأعود.

التقط نفساً عميقاً، محاولاً تهدئة أعصابه الثائرة، وهو في طريقه إلى مكتب المدير، ولكنه لم يكد يدخله، حتى استعاد توتره وعصبيته أضعافاً مضاعفة، عندما وجد (رودشتاين) هناك، والتماعة ظافرة في عينيه، فسأل بمنتهى العصبية:

- ما الجديد؟!

أجابه المدير في رصانة، وهو يشير إلى (رودشتاين):

- لقد عرف لماذا جاء رجل العمليات الخاصة إلى

(إسرائيل).

كاد (عزرا) ينفجر غيظاً، وهو ينظر إلى التماعة عيني (رودشتاين)، وابتسامته الظافرة، فقال هذا الأخير في بطء شامت:

- لقد جاء لتنظيم هجوم انتحاري، على الكنيست الإسرائيلي، وليس لتهريب (دافيد شولومون) فحسب.

بذل (عزرا) جهداً شديداً، للسيطرة على تلك النيران، المشتعلة في أعماقه، قبل أن يقول في انفعال، لم يستطع كتمانه:

- كيف يمكنك الجزم؟!

أجابه المدير:

- هذا هو السر، الذي جاء ذلك الشاب المصري، يقايضنا عليه.

انعقد حاجبا (عزرا) في شدة، وهو يقول في عصبية:

- مصادفة غير منطقية.

بدا (رودشتاين) صارماً، وهو يقول:

- لقد أريته صورة الأسير، و...

قاطعه (عزرا)، في صرامة عصبية:

- هذا لا يكفى.

تبادل المدير نظرة مع (رودشتاين)، قبل أن يسأل في اهتمام:

- لأنها صورة؟!

أجابه (عزرا)، وهو يحاول عبثاً إخفاء عصبيته:

- هذا ما تعلمناه.. الصور قد تتشابه، أما المواجهة المباشرة فلا.

عاد المدير يتبادل نظرة صامتة مع (رودشتاين)، ثم قال في حزم:

- عليك إذن إجراء هذه المواجهة.

ارتفع حاجبا (عزرا) في دهشة، في حين انعقد حاجبا (رودشتاين) في شدة غاضبة، ولكن مدير (الموساد) أكمل في صرامة:

- هذا ما تحتمه نظم العمل في أي جهاز مخابرات، فقد بدأت أنت عملية رجل العمليات الخاصة المصري الأسير، وعليك أن تتولى كل ما يتعلق بها، حتى الخطوة الأخيرة.

قال (رودشتاين) في ضيق متوتر، لم ينجح برودة في إخفائه:

- ولكنني من...

قاطعه المدير في صرامة شديدة:

- لدى مهمة أخرى لك.

وصمت لحظة، ثم التفت إليه، مضيفاً:

- مهمة أكثر أهمية.

التمعت عينا (رودشتاين) في ظفر، وحملتا لمحة امتنان للمدير، على إسناد المهمة الأكثر أهمية إليه، في حين شعر (عزرا) بغصة في حلقه، أخفاها بصرامة زائدة:

- ماذا أخبرك الشاب أيضاً؟!

لم يبد (رودشتاين) تعاوناً كافياً، وهو يجيب في برود:

- أخبرني أن الاسم الكودي لرجل العمليات الخاصة هو: (الفهد).

والتمعت عينا (عزرا) في شدة..

فهذا يتفق مع ما حصل عليه بالفعل من معلومات..

يتفق معه تماماً..

* * *

"لا تقل لي: إنك كنت تتوقع هذا..".

نطق اللواء العبارة، وهوي هز رأسه في إعجاب، لم يستطع إخفاءه، فهزّ العميد كتفيه بدوره، وقال:

- ربما وضعت الاحتمال منذ البداية، ولكنني كنت أتمنى ألا نبلغ هذه المرحلة.

هتف اللواء من أعماقه:

- مدهش.

ثم جلس على المقعد المواجه للعميد، بحيث تفصل رقعة الشطرنج بينهما، وسأل العميد، في مزيج من الإعجاب والانبهار:

- كيف يمكنك أن تفعل هذا؟!

سأله العميد في بطء:

- أفعل ماذا؟!

سأله في اهتمام شديد:

- كيف يمكنك أن تتوقع وتستعد لخطوات، لا تشير أية دلائل إلى احتمال حدوثها؟!

أشار العميد بسبّابته، مجيباً:

- لست أتوقّع شيئاً محدوداً.. كل ما في الأمر هو أنني أعتبر نفسي أمام رقعة شطرنج، مضاف إلى قطعها حياة بشرية كاملة، وأحسب كل لعبة مسبقاً، وكل الاحتمالات التي يمكن أن يرد بها العدو، والنقاط التي يمكن الهجوم منها، ثم أضيف إلى كل هذا دراسة طويلة عميقة، لنفسية رجال المخابرات، والطبيعة النفسية للإسرائيليين بالذات، وعندما أفرج كل هذا ببعضه البعض، يمكنني استنباط ردود الأفعال، ومنها يمكنني توحيد الإسرائيليين نفسياً وعملياً، نحو بقعة بعينها، على رقعة الصراع، في حين أهاجم من نقطة لم تجل بخاطرهم قط.

سأله اللواء مبهوراً، ونادراً ما يفعل:

- حتى مراحل متقدّمة؟!

هزّ العميد كتفيه مرة أخرى، وقال:

- حتى المراحل المتقدّمة مجرّد احتمالات.

غمغم اللواء:

- بالفعل.

ثم اعتدل، مستطرداً:

- ولكن ذلك الشاب داخل مقر (الموساد) في (تل أبيب)، منذ ما يزيد عن يوم كامل، ولم نستطع الحصول على أية معلومات بشأنه بعد.

غمغم العميد في ثقة:

- سيجيد التصرُّف.

هزّ اللواء رأسه، وقال:

- تدهشني ثقتك المطلقة هذه فيه، حتى أنني أتمنى

لو أقابله، لو أمكنه العودة سالماً، من هذه المهمة العسيرة.

ابتسم العميد، وقال:

- أنت تعرفه جيداً.

قال اللواء في دهشة:

- أعرفه؟!.. ومن هو؟!

قبل أن يجيبه العميد، صل مندوب الاتصال الشاب، ووجهه يحمل علامات التوتر الشديد، فلاذ الاثنان بالصمت، حتى عبر الشاب الحديقة إليهما، وسلّم اللواء مظروفاً مغلقاً، وهو يقول:

- أخبار عاجلة من (لندن)، يا سيادة اللواء.

تناول اللواء المظروف، وقال للشاب:

- حسناً.. لقد تسلمته.

تراجع الشاب خطوتين في احترام، ثم غادر المكان، دون أن يؤدى التحية، وفقاً لقواعد العمل في المخابرات، وفضّ اللواء المظروف، وهو يتساءل:

- ترى ما نوع هذه الأخبار؟!

غمغم العميد، وقد اعتراه قلق مبهم:

- سنرى.

اعتدل اللواء، وهوي قرأ محتويات الورقة، قبل أن تتسع عيناه، وتبدو عليه علامات توتر شديد، جعلت العميد يسأله، وقد تضاعف قلقه:

- ماذا هناك؟!

رفع إليه اللواء رأسه، في توتر بالغ، وهو يجيب:

- لقد أطلقوا النار على (صبري) في (لندن).

واتسعت عينا العميد عن آخرهما..

فالخبر، بالنسبة إليه، لم يكن مجرّد مفاجأة..

لقد كان كارثة..

كارثة كبرى..

* * *

على عكس (رودشتاين)، بدا (عزرا) صارما متوتراً، وهو يقول للشاب، بينما يهبطان معاً إلى قبو (الموساد):

- غير مسموح بأي حديث بينك وبين الأسير.. لو نطقت بحرف واحد، سأطلق النار على رأسك دون إنذار.. مهمتك هي أن تتعرّفه فقط، وليس أن تتبادل معه الحديث..

غمغم الشاب، وهو مستمر في لعب دور التوتر والاضطراب:

- وماذا أفعل، إذا ما تعرّفته؟.. هل أومئ برأسي فحسب؟!

زمجر (عزرا)، قائلاً:

- لا تقل شيئاً، أو تفعل شيئاً، سواء تعرّفته أم لا..

اصمت فحسب.

غمغم الشاب:

- ولكن كيف ستـ..

قاطعه في حدة:

- عندما نعود، ستخبرني بكل شيء.

صمت الشاب لحظات، ثم هزّ كتفيه في استسلام، قائلاً:

- كما ترون.

انعقد حاجبا (عزرا) في صرامة غاضبة، حاول أن يبحث في أعماقه عبثاً عن مبرّر منطقي لها، وواصل سيره مع الشاب، حتى وصلا إلى مدخل الزنازين الاحتياطية، فتوقف (عزرا) فجأة، والتفت إليه، يسأله في قسوة، وهو يجذبه من قميصه:

- أليس من العجيب أن يتصادف إلقاؤنا القبض على ذلك المصري، مع وصولك إلى هنا، طالباً حق اللجوء، مقابل طرح معلومات عنه؟!

هتف الشاب، في ذعر مقنع:

- معلومات عنه؟!.. ولكنني حتى لم أتعرّفه بعد!

صاح فيه (عزرا):

- اسمع.. أنا لم ولن أؤمن أبداً بالمصادفات، وشريعتي تؤمن بأنه لا وجود لها، وبأن كل ما يبدو لنا كمصادفة، ما هو في الواقع إلى ترتيب قدري.. أو..

ومال نحوه، حتى كاد يخترقه بعينيه، وهو يكمل:

- أو بشرى.

تظاهر الشاب بالاضطراب الشديد، وهو يقول:

- كيف.. كيف أقنعكم بإخلاصي لكم؟!

أجابه في صرامة:

- قد يمكنك إقناعهم.

ثم دفعه في قسوة، مستطرداً:

- أما أنا فلا.

ارتطم الشاب بالحائط إثر دفعته، وعلى الرغم من قدرته المدهشة على الاحتمال والتوازن، ترك جسده يسقط، وهو يهتف مذعوراً:

- ماذا فعلت؟!

قلب (عزرا) شفتيه في ازدراء، وقال:

- بل قل: ماذا ستفعل؟!

تظاهر الشاب بالتعثُّر في نهوضه، وعقله يتساءل: لماذا لم ينجح في إقناع ضابط (الموساد) هذا، على الرغم من إقناعه للجميع؟!..

هل أخطأ في جزء ما من دوره؟!..

أم أن هذا الضابط أكثر ذكاءً من الكل؟!..

أو ربما هو مصاب بنوع من الوسواس القهري؟!..

أو شيء مشابه..

لقد حدثّه والده ذات مرة، عما أسماه بغريزة رجل المخابرات، التي تجعله يشم أو يسمع رائحة الخطر..

كان يؤمن تماما بأن التعايش طويلاً، مع مهنة ما، أية مهنة، يزرع داخل المرء علاقة خاصة للغاية، تربطه بها، مما يوقظ غريزة ما في أعمق أعماقه..

غريزة تتعايش مع مهنته..

وتتفاعل معها..

وتندمج بها..

وعندما يبلغ المرء هذه المرحلة، يصبح بإمكانه أن

يرى في مهنته أموراً، لا يمكن أن يراها أو يشعر بها غيره..

ومن الواضح - عملياً - أن والده كان محقاً في هذا..

محق تماماً..

وفى صرامة شديدة، قال (عزرا)، وهو يشير للحارس بفتح زنزانة الأسير، وعندما انفتحت الزنزانة، خفق قلب الشاب على الرغم منه..

فبالنسبة إليه، كان كل ما مضى مجرّد مقدّمة..

أما الآن، فهذه هي البداية..

البداية الحقيقية..

وفى صرامة شديدة، أشار (عزرا) إلى الداخل، قائلاً:

- تذكّر.. بدون كلمة واحدة.

أومأ الشاب برأسه، ودلف إلى الداخل، في بطء يوحى بالتردُّد..

ومن داخل الزنزانة، رفع (رأفت) عينيه في بطء مماثل، ينظر إلى القادمين..

ولقد أدهشه أن يدخل (عزرا) بصحبة شاب صغير..

شاب واضح التوتر والتردُّد..

ودون أن يتساءل عن هوية الشاب، ابتسم (رأفت) في سخرية:

- ما هذه الرائحة الكريهة.. آه.. أهو أنت يا رجل (الموساد)؟!

شعر الشاب في أعماقه بانبهار شديد، مع هذه السخرية، التي استخدمها رجل العمليات الخاصة المصري، في موقف كهذا..

وكم راقت له هذه السخرية..

وكم تغلغل هذا الانبهار في أعماقه..

وأثَّر على شخصيته..

بشدة..

وفى صرامة شديدة نظر (عزرا) إليه، وهو يضغط كتفه، على نحو مؤلم..

وبينما يستمر في لعب دور المتوتر، اقترب الشاب خطوة من (رأفت)، وكأنه يتفرَّس ملامحه جيِّدًا، فرفع (رأفت) عينيه في حذر..

وهنا انفرجت شفتا الشاب، واتخذت ملامحه كلها هيئة أشبه بزمجرة صامتة..

وعلى الرغم من ملامحه، التي ظلَّت جامدة، شعر (رأفت) بقبلة من الدهشة، تتفجَّر في أعماقه..

فهذه الحركة، التي أخبره بها العميد، قبل حتى أن تبدأ المهمة، كانت تعنى أنه أمام الشخص، المفترض فيه أن يخرجه من سجنه، ويحرِّره من أسره.

أمام الفهد..

مباشرة.

* * *

6 – الانفجار

على الرغم من بروده الشهير، انعقد حاجبا (رودشتاين) في شدة، وهو يستمع إلى مدير (الموساد)، قبل أن يقول:

- إذن فهو حي.

أومأ المدير برأسه، قائلاً:

- للأسف.

ازداد انعقاد حاجبي (رودشتاين)، وهو ينهض من مقعده، ويسير نحو النافذة، ويقف أمامها في شرود شديد، استغرق ما يزيد عن دقيقة كاملة، قبل أن يغمغم:

- يقولون إن للقط تسع أرواح، وهذا الرجل يمتلك

عشر(*).

قال المدير في صرامة:

- وسنقتنصها كلها، لو اقتضى الأمر.

قال (رودشتاين)، وهو ما زال يتطلّع عبر النافذة:

- إنه في (القاهرة)، وهذا يجعل المهمة أكثر صعوبة.

قال المدير:

- ملفك يقول: إنك لا تؤمن بالمستحيل!

أجابه (رودشتاين) في حزم:

- ولست أؤمن به بالفعل.

وصمت لحظات، ثم أضاف:

(*) الشائع فى ثقافتنا العربية الشعبية، أن للقط سبع أرواح، ولكن الثقافة الغربية القديمة تصرّ على أنهم تسع، وهذا يعود إلى قدرة القط على السقوط من أعلى، على قدميه مباشرة، دون أن يصاب.

- ولكن حتى المستحيل، هناك سبيل لبلوغه، ولكنه ليس بالسبيل الواضح أو السهل.

وصمت لحظة أخرى، ثم التفت إلى المدير مكملاً:

- هناك حتماً ثغرة ما.. ثغرة لم ينتبه إليها المصريون.. ومهما كان نظامهم محكماً، ومهما أحاطوا الرجل، بوسائل الحماية والتأمين، ستوجه حتماً وسيلة للتوصُّل إليه.

غمغم المدير في اهتمام:

- ابحث عنها إذن.

غرق (رودشتاين) في التفكير العميق طويلاً، وراح يدرس المهمة في رأسه.. بكل التفاصيل.

وكل الدلائل..

أهمها..

وأدقها..

وأبسطها..

ثم فجأة، توقف ذهنه عند نقطة بعينها..

نقطة بدت وكأنها تحمل المفتاح..

مفتاح الثغرة..

وفي انفعال، غلب بروده التقليدي، التفت إلى المدير، قائلاً:

- وجدتها.

انعقد حاجبا المدير في شدة، وهو يسأله في انفعال:

- هل عثرت على وسيلة؟!

التمعت عينا (رودشتاين) بمنتهى الثقة، وهو يقول:

- يمكنك الاستعداد، لحذف اسم رجل المخابرات المصري من الوجود.. تماماً.

قالها بكل الثقة؛ لأنه أدرك أين تكمن نقطة الضعف..

وكيف يمكن اختراقها..

وبأقصى سرعة..

* * *

فجأة، شعر (عزرا) بصرخة خطر، تتردّد في أعماقه..

بلا مقدمات، ودون أن يبدو أدنى انفعال، على وجه (رافت)، شعر رجل المخابرات الإسرائيلي أن هناك رسالة خفية ما، تبادلها رجل العمليات الخاصة، مع ذلك الشاب..

وبقفزة واحدة أصبح بينهما، وانعقد حاجباه في شدة، وهو ينقل بصره بين وجهيهما..

ولكن ملامح (رافت) ظلّت هادئة..

أما الشاب، فقد التفت إليه في بساطة، وسأله بصوت وملامح، يحملان كل البراءة:

- ماذا حدث؟!

بدا (عزرا) عصبيا متوتراً، وهو يكرّر نقل بصره بين وجهيهما، قبل أن يدفع الشاب أمامه في قسوة، قائلاً:

- هذا يكفى.

ولم يحاول الشاب هذه المرة..

بل ولم يبد عليه الارتباك والتوتر والاضطراب، الذين لازموه، منذ وصوله إلى (إسرائيل)..

وفى صرامة عصبية، هتف (عزرا) بالحارس:

- أغلق الزنزانة.

اندفع الحارس لتنفيذ الأمر، لولا أن هتف الشاب بغتة:

- مهلاً.

توقّف الحارس بحركة غريزية، ونقل بصره بين الشاب و(عزرا)، فصاح هذا الأخير في غضب:

- قلت لا حديث.

تجاهل الشاب غضبه، وهو يقول:

- ولكنه أمر شديد الأهمية.

احتقن وجه (عزرا)، وهو يصرخ:

- لقد حذرتك.

ثم هتف بالحارس:

- أطلق عليه النار.

سحب الحارس مسدسه بحركة غريزية، و...

وفجأة، لم يعد ذلك الشاب خجولاً، ومضطربا أو مرتبكا..

لقد صار كتلة من النشاط..

والقوة..

والجرأة..

والقوة..

باختصار، صار فهداً حقيقياً..

فما أن سحب الحارس مسدسه، حتى وثب الشاب بغتة، وركل المسدس من يده ركلة قوية، ثم دار حول نفسه، وركل الحارس في أنفه ركلة قوية، أعقبها بلكمتين سريعتين، جعلتاه يسقط فاقد الوعي، والدماء تغمر وجهه، وواحدة من أسنانه تسقط عند قدميه..

تم كل هذا في ثوان قليلة، حتى أن (عزرا) لم ينجح في الخروج من ذهول المفاجأة، إلا بعد أن وجه الشاب لكمته الأخيرة، فسحب مسدسه بدوره، وهو يهتف:

- أيها الـ...

قبل أن يتم عبارته، هوت لكمة عنيفة على مؤخرة عنقه، فاتسعت عيناه عن آخرهما، وارتجَّ مخه في عنف، على نحو جعله يسقط كالحجر، تحت قدمي الشاب، الذي

التفت في سرعة، فرأى (رافت) يضمّ قبضته، وهو يزفر في ارتياح، قائلاً:

- كم تمنيت أن أفعل هذا، منذ اللحظة الأولى، التي وقع فيها بصري على وجهه القبيح.

ابتسم الشاب، ومد يده إليه، وهو يقول:

- أساءوا إليك كثيراً يا بطل.

هزّ (رافت) كتفيه، وابتسم قائلاً:

- ليس مثلما أسأت أنا إليهم.

ثم قال في دهشة وإعجاب:

- ولكنك الفهد.

أجابه الشاب في بساطة:

- أظنه أنا.

هتف (رافت):

- سيادة العميد أخبرني أنك ستأتي، إذا ما وقعت في أسر الإسرائيليين، ولكنني لم أتصوّرك قط صغير السن، إلى هذا الحد.

تحرّك الشاب في سرعة، وخلع حزامه، وهو يقول:

- الإسرائيليون أيضاً لم يتصوّروا هذا.

سأله (رافت)، وهو يدفع (عزرا) الفاقد الوعي بقدمه، ليغادر الزنزانة:

- ولكن كيف اكتسبت كل هذه المهارة، في عمرك هذا.

هزّ الشاب كتفيه، وهو يلف حزام حول رتاج باب الممر، الذي يقود إلى الزنازين:

- كانت لي ظروف خاصة.

قال (رافت) في إعجاب:

- أية ظروف تلك، التي تمنحك قوة كهذه؟!

كرَّر الشاب في هدوء:

- ظروف خاصة.

ابتسم (رأفت)، وقال:

- أيعنى هذا أنك لن تخبرني عن اسمك.

جذب الشاب حلية حزامه في حركة خاصة، وهو يقول:

- أنت تعرفه.

ثم التفت إليه، مستطرداً:

- الفهد.

أومأ (رأفت) برأسه متفهماً..

إنه ينفذ التعليمات ولا شك..

عندما أرسله العميد، طلب منه ألا يذكر اسمه..

إنه الفهد..

فقط الفهد..

"ما زلت أتساءل أيها الفهد.."..

قالها (رأفت) في اهتمام، فنظر إليه الشاب متسائلاً:

- عم؟!

أجابه في قلق:

- لقد نجحت في الوصول إلىَّ، ولكننا ما زلنا في قلب (الموساد)، ولا تتصوَّر أن الخروج من هنا يمكن أن يكون أسهل من الدخول، فما خطتك بالضبط؟!

صمت الشاب لحظات، ثم أجاب في بطء:

- إنني أتبع خطة مركَّبة، شديدة التعقيد.

هزَّ (رأفت) رأسه، قائلاً:

- لست أرى خطة واحدة، يمكن أن تخرجنا من هنا.

فاجأهما صوت من خلفهما، يقول في عصبية:

- أنت محق. -

التفتا معا في سرعة، إلى (عزرا)، الذي استعاد وعيه، وقال في غضب هادر، وهو يخرج علبة صغيرة من جيبه ويضغط زراً في منتصفها:

- الخروج من هنا مستحيل!

تحرّك (رافت) في سرعة نحوه، ولكنه قبل أن يخطو خطوة واحدة، انطلقت في المكان كله صفارة إنذار قوية..

وكان هذا يعنى أن الموقف كله قد اشتعل..

في قلب (الموساد)..

الإسرائيلي..

* * *

"كيف يمكن تجاوز هذا الموقف؟!.."

ألقى اللواء السؤال، في قلق واضح، فهزّ العميد

كتفيه، وقال:

- لست أدرى.. الشاب الآن في قلب (إسرائيل)، ولا يدرى شيئاً عما أصاب والده، والمفترض أن نبلغه، حتى يحضر جنازته على الأقل، ولكن هذا غير ممكن، في الوقت الحالي.

غمغم اللواء:

- يا له من موقف!..

غرق العميد في التفكير بضع لحظات، ثم قال:

- الموقف عسير، ولكن لا سبيل للتعامل معه، لذا فمن الضروري أن تتناساه الآن، وأن نركز تفكيرنا على العملية الرئيسية، التي لو انشغل تفكيرنا عنها، قد تكون النتائج وخيمة.

أومأ اللواء برأسه متفهماً، وهو يقول:

- أنت على حق.

ثم اعتدل، متسائلاً:

- ولكنك تضع هاتفك إلى جوارك اليوم، فهل تنتظر أخبار المهمة؟!

أجابه العميد:

- فعلاً.. لقد قمت بترتيب الأمر، بحيث تصل الأخبار مباشرة، من (تل أبيب) إلى (روما)، ومن (روما) إلى هنا.. لابد من متابعة الموقف دقيقة بدقيقة، في هذه المرحلة بالذات.

مال اللواء نحوه، متسائلاً:

- وكيف تتوقع أن يتجاوزوا هذه المرحلة؟!

أجابه في سرعة:

- بالذكاء.

ثم ابتسم، مضيفاً:

- والقوة.

أراد اللواء أن يسأله عما يعنيه، ولكنه، وقبل أن يلق سؤاله، فوجئ برنين الهاتف المتصل، الذي يشير إلى ورود مكالمة خارجية، وأسرع العميد يلتقط سمّاعة الهاتف، وهو يقول:

- رقم واحد.

ثم انعقد حاجباه في شدة، وهو يستمع إلى محدثه، في اهتمام بالغ..

وشعر اللواء بقشعريرة باردة كالثلج، تسرى في جسده..

فمع معرفته القديمة بالعميد، أدرك ما تعنيه نظرته هذه جيداً..

لقد فشلت عملية الفهد..

تماماً.

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله
ويليه الجزء الثاني
(وكر الذئاب)

3 ـ عملية الفهد

د. نبيل فاروق

ما زالت العملية الأولى لم تكتمل، وما زالت معركة العقول مستمرة، وفى لعبة الثعالب، لا يمكنك أن تجزم بانتصار او هزيمة اى طرف، قبل أن تضع الحرب اوزارها..

حرب المخابرات، والجاسوسية، والذكاء، والخداع..

ولأن رجل العمليات الخاصة المصرى، قد سقط فى قبضة الإسرائيليين، وأصبح اسيراً فى قلب مبنى (الموساد)، كان من الضرورى أن تستمر المهمة.

وفى هذه المرة، أرسل العميد مقاتلاً، من خارج فريق (المتخصصون)..

مقاتلاً يحمل سمة خاصة، أهلته لذلك الاسم الكودى، الذى حملته العملية..

اسم عملية الفهد.

الناشران: دار ليلى - دايموند بوك

النص فى مصر
3